وظائف رمضان

تحتوي على ستة وعشرين فصلاً

في الوعظ

وخاتمة في الترغيب

في صيام ستة أيام من شوال

تأليف

الشيخ الفاضل سليمان بن عبد الرحمن العمري

غفر الله له ولوالديه

ولجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين

قام بمراجعته وتصحيحه

الشيخ عبد الرحمن حسن محمود

من علماء الأزهر

من منشورات المؤسسة السعيدية بالرياض

لصاحبها : فهد بن عبد العزيز السعيد

الخزان - هاتف ٣٥٥٦١

طبع على نفقة بعض المحسنين

الطبعة الثالثة

١٣٩٩ هـ ـ ١٩٧٩ م

بسم الله الرحمن الرحيم

ترجمة الشيخ سليمان بن عبد الرحمن العمرى

هو العالم العلامة الشيخ سليمان بن عبد الرحمن بن الشيخ القاضى الشيخ محمد بن عمر العمرى ، ولد فى مدينة عنيزة حيث انتقل إليها والده من بريدة بلد جده محمد .

وقد ولد فى بيت علم وورع وتقوى ونشأ نشأة صالحة فلم يتعلق بالدنيا بل انصرف إلى طلب العلم ، وقد رحل من عنيزة إلى بريدة فلازم صهره علامة القصيم فى وقته الشيخ محمد بن عبد الله بن سليم وأقام ملازماً له فى بريدة أكثر من عشر سنوات ولما توفى الشيخ محمد بن عبد الله بن سليم ارتحل بمصاحبة الشيخ عمر بن محمد ابن سليم إلى الرياض وقرأ هو والشيخ عمر على الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف قرابة سنة ، غير أن الشيخ عبد الله ابن عبد اللطيف لا حظ على الشيخ عمر بن محمد بن سليم النجابة والحفظ والفهم فرغّب إليه أن يعود إلى وطنه بريدة ليحل محل والده فى التدريس لكبار

طلبة العلم وكان مما قال الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف للشيخ عمر : يابنى أنت يؤخذ عنك العلم .وقد عاد الشيخ سليمان مع الشيخ عمر، وسافر إلى عنيزة حيث عين إماماً فى أحد مساجدها الكبيرة .

وقد أعجب به الوجيه الشيخ مقبل الذكير ، وهو رجل له إلمام بالعلوم ومعرفة جيدة بأمهات الكتب فبنى داراً فخمة فى عنيزة بالقاع وخصصها ، كمكتبة عامة ومدرسة ، وطلب من الشيخ سليمان التدريس فيها وملازمتها

ولكن الملك عبد العزيز رحمه الله ـ بمشورة من الشيخ عمر بن سليم ـ اختار الشيخ سليمان ليتولى الإشراف على الشئون الدينية بالمسجد النبوى الشريف والتدريس فيه مع رئاسة المحكمة المستعملة بالمدينة المنورة ، والتى كان لها أهمية فى ذلك الوقت حيث كانت تنظر فى كل الأمور المستعملة ، الصغيرة والكبيرة : بما فى ذلك القتل وغيره .

فكان إلى جانب التدريس فى المسجد النبوى يؤم فيه للصلاة ويشرف على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فى المسجد النبوى الشريف، فأقام فى المدينة حوالى خمس عشرة سنة ، وقد نفع الله بعلمه فى المدينة المنورة وكان أمير المدينة فى زمنه الأمير الشهير: عبد العزيز بن إبراهيم فكان الأمير عبد العزيز يجل الشيخ ويوقره ويعمل بنصائحه

وفى المدينة التف عليه جماعة غير قليلة من طلبة العلم — السعوديين وغيرهم — من المهاجرين لطلب العلم والمجاورين فى المدينة وقد صحح كثير من العلماء الوافدين عقائدهم بسبب دعوة الشيخ ورفقه ولطف حديثه .

وقد تولى عدد غير قليل من تلامذته القضاء ورئاسة المحاكم .

ومن أبرز من قرأ عليه وانتفع بعلمه فى المدينة الشيخ ناصر بن محمد الوهيبى :عضو رئاسة القضاء بمكة ، ثم مساعد رئيس ديوان المظالم ومعالى وزير العدل السابق الشيخ محمد الحركان والشيخ عبد الرحمن بن محيميد رئيس محكمة الخبر ثم عضو ديوان المظالم

تلامذته فى عنيـــزه :

وممن أَخذ عنه وقرأ عليه الشيخ إبراهيم القاضى والد الشيخ حمد إبراهيم القاضى وابنه الشيخ حمد القاضى ، وكان الشيخ إبراهيم وهو يقرأ على الشيخ سليمان من أَكابر أَعيان عنيزة ووجهائها ، وله شخصية قوية فكان يأَمر بالمعروف وينهى عن المنكر .

وأخذ عنه الشيخ عبد الله المطلق الفهيد المدرس ثم المفتش بالمعاهد العلمية والذى ألف كثيراً من كتب التوحيد والفقه للمدارس الحكومية ، درست كتبه أكثر من عشرين سنة فى المدارس ، وانتفع بها عدد من البلاد الإسلامية كما قرأ عليه الشيخ حسن النعيم أحد وجهاء عنيزة وأعيانها ، وقرأ عليه القاضى الشيخ عبد الرحمن بن عقيل قاضى جيزان فى زمنه ، والشيخ إبراهيم السعود والشيخ عبد الرحمن الراجحى ، وقاضى المجمعة والدلم وعنيزة الشيخ محمد بن عبد العزيز المطوع ، والشيخ عبد الله بن عبد العزيز المطوع ، وقد ذكر لى عن الشيخ عبد الله المطوع أنه نال قسطا كبيراً من العلم وأنه على جانب طيب من التقوى والورع ، وقد توفى رحمه الله ولم يتول شيئا من المناصب ، كما قرأ عليه ابن عمه الراوية والبحاثة الشيخ محمد الحمد العمرى والذى يملك أكبر مكتبة خاصة فى الرياض اشترت جامعة الرياض جزءًا منها بمبالغ كبيرة تحتوى على عشرات المخطوطات النادرة والطبعات القديمة التى تعد فى ندرتها كالمخطوطات وقل أن يوجد كتاب قيم إلا وعنده نسخة منه وما باع على الجامعة فغالبه من النسخ المتكررة لديه .

وقد نقل الشيخ سليمان فى المدينة المنورة إلى رئاسة محكمة الأحساء وبقى فيها إلى أن طلب الإعفاء وقد توفى فى الأحساء ودفن هناك رحمه الله رحمة الأبرار وكان الأمير فى الأحساء عندما نقل إليها الأمير سعود بن عبد الله بن جلوى ، وكان الأمير سعود يحترم الشيخ ويجله ويعمل بنصائحه ، وكذلك كان الحال مع الأمير عبد العزيز بن إبراهيم أمير المدينة فقد حدث أن حكم بحكم وبعثه للأمير عبد العزيز ، ولكن الشيخ رأى فى الحكم خطأً فقام بنفسه وذهب لقصر الإمارة وطلب الحكم وشطب عليه ، وكتب تحته : باطل ، باطل .

فالشيخ رحمه الله من بيت علم وورع وتقوى فقد كان جده الشيخ محمد بن عمر العمرى قاضيا فى الخبراء من بلدان القصيم فى آخر القرن الثالث عشر ولم يكن للقضاة آنذاك مرتبات أوعوائد فبعث إليه أمير الخبراء محمد ابن سلطان بحمل من البر فأعاده إليه فبعث إليه بحملين فأعادهما ، ثم قال للأمير: يابنى إننى لم أردّه لأنه قليل ولكن رددته لعدم حاجتى إليه ، وإذا كنتم تريدون أن أقضى بينكم بدون راتب وإلا فأعفونى ، لأننى أقضى بينكم بدون مرتب وأخشى على ذمتى

فهذه طريقة جده وليس جده وحده بهذه الطريقة من الأُسرة فقد كان له نظائر فى أُسرته ، وللشيخ شقيق توفى دون العشرين ، وقد رزق شيئا من العلم وكان منقطعاً للعلم والعبادة رحمه الله ، وله فى أُسرته أَشباه ونظائر .

نسب الشيخ سليمان .

ينسب العمريون إلى أَمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

قال الشيخ حسين بن عبد اللطيف بن محمد العمرى المعروف بابن عبد الهادى الدمشق فى كتابه الذى ألفه فى آخر القرن الثانى عشر الهجرى والذى لايزال مخطوطاً ومحفوظاً فى مكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة تحت رقم ٦٣٣ صفحة ٣٢ جزء أَول ويسمى [المواهب الاحسانية فى ترجمة الفاروق وذريته بنى عبد الهادى وأصولهم العمرية] :

إن العقب من أولاد عمر رضى الله عنه لثلاثة عبد الله ، وعاصم ، وعبيد الله انتهى . ثم قال :

فأَما عبد الله رضى الله عنه فاستقامته بالحرمين ، وانتشرت ذريته فى الأَقطار الحجازية ، ثم وفد منهم

طائفة للديار المصرية ، ومنها إلى البلاد الشامية : القدس ، وعجلون ، وصفوريا ، ودمشق

وأما عاصم فذريته قد انتشرت فى البلاد ، والمشهور الآن طائفة منها فى الموصل وماردين وتلك النواحى ، إلى أن قال :

وقد قدم دمشق جماعة منهم عليهم سيمى الصلاح والتقوى فى سنة سبع وثمانين ، وسنة ثلاث وتسعين ومائة وألف قاصدين الحج ، وقد رأيت معهم صورة نسبهم الثابت الاتصال إلى عاصم بن عمر رضى الله عنهما .

وأما عبيد الله بالتصغير فانتشرت ذريته فى بلاد المغرب ، وكذا ذرية أخويه عبد الله وعاصم واشتهرو بالحفصيين

قال الشهاب أحمد القلقشندى فى [نهاية الأرب فى معرفة قبائل العرب] العمريون بضم – العين وفتح الميم – بطن من بنى عدى بن كعب من قريش من العدنانية وهم بنو أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه الخ

والمرجح أن الأسرة التى منها الشيخ سليمان العبدالرحمن العمرى ، من ذرية عاصم بن عمر ، قدمت القصيم من الموصل قبل مائتى سنة .

والذين قدموا القصيم هم من العلماء وطلبة العلم وينتشرون الآن فى بريدة وعنيزة والرس ورياض الخبراء وغيرها

ويقول مؤرخو وعلماء الحجاز بأن الأُسرة التى فى القصيم من ذرية عمر رضى الله عنه كما يقول بذلك علماء الشام والعراق ، ولكن من عادة أَهل نجد أَنهم إذا وفد عليهم وافد لايعرفون قبيلته البدوية الأَصل لايثبتون نسبه فى القبائل . . والله أعلم .

وصلى الله على محمد وآله وصحبه .

بقلم
أحد تلامذة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى وفق من شاء من عباده للتنبه للاستعداد ليوم معاده ، وأصغى سمعه للمواعظ ، فإنها سياط لقلوب الموفقين من عباده ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، شهادة عبد مؤمن بلقائه ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، الداعى بالحكمة والموعظة الحسنة إلى سبيل رشاده ، صلى الله عليه وعلى وأصحابه وأتباعه وأجناده ، وسلم تسليما .

أما بعد : فهذه وظائف شهر رمضان المعظم ، رتبتها على عادة وعظ أهل وقتنا - بعد صلاة العصر - فى المساجد ، فبلغت ستة وعشرين فصلًا ، على عدد أيام الشهر ، غير الجمع ، وخاتمة فى الترغيب فى صيام ستة أيام من شوال ، وأردفته بعشرة مجالس وظائف للعشر الأواخر من رمضان ، على عادة وعظ أهل قطرنا ووقتنا فى ليالى العشر ، فى فضل قيام آخر الليل ، وجعلت لكل

فصل ومجلس خطبة وختمته بدعاء يسير جمعته من كتب العلماء ، وإنما جمعته لنفسى لأستغنى به عن أهل وقـتى .

وأسأل الله أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم ، وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين .

الفصل الأول

فى البشارة بدخول رمضان والتهنئة فيه

الحمد لله الذى سلك بأَحبابه منهج الصراط المستقيم ، واختص بالعناية من أتى إلى بابه بقلب سليم ، فسبحان من اختص أقواماً بخدمته ، وشغلهم بمحبته ، وما من موسم من هذه المواسم الفاضلة إلا ولله فيها وظيفة من من وظائف طاعته ، يتقرب إليه بها ، ولله فيها لطيفة من لطائف نفحاته يصيب بها من يعود عليه بفضله ورحمته ، فالسعيد من اغتنم مواسم الشهور والأيام والساعات ، وتقرب بها إلى مولاه بما فيها من وظائف الطاعات ، فعسى أن تصيبه نفحة من تلك النفحات ، فيسعد بها سعادة يأمن بها من النار ، وما فيها من اللفحات ، فياسعادة من قبلت منه فى شهره الأعمال ، ويا شقاوة من فرط فى صيامه بالإهمال .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده ، لاشريك له وأشهد

أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً

قال الله تعالى :

شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِى أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ (١) » .

وقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم :

إِذَا جَاءَ رَمَضَانُ فُتِحَتْ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ وصُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ [أخرجاه ٢] .

وفى حديث أبى هرير (٣) رضى الله عنه قال :

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبشر أصحابه بقدوم شهررمضان يقول :

[جَاءَكُمْ شَهْرُ رَمَضَانَ : شَهْرٌ مُبَارَكٌ ، كُتِبَ(٤) عَلَيْكُمْ صِيَامُهُ ، فِيهِ تُفَتَّحُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ وَتُغَلَّقُ فِيهِ أَبْوَابُ

---

(١) سورة البقرة ، الآية : ١٥٨ .

(٢) أى البخارى ومسلم .

(٣) هو عبد الرحمن بن صخر : صحابى مشهور من أجل الصحابة وأعلمهم بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٤) أى فرض .

الْجَحِيمِ ، وَتُغَلُّ فِيهِ الشَّيَاطِينُ ، فِيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ : مَنْ حُرِمَ خَيْرَهَا فَقَدْ حُرِمَ (١) » رواه الإمام أحمد والنسائى .

وفى حديث آخر :

« لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَافِى رَمَضَانَ لَتَمَنَّتْ أُمَّتِى أَنْ يَكُونَ رَمَضَانُ السَّنَةَ كُلَّهَا » . أخرجه ابن أبى الدنيا .

وذكر الأصفهانى فى الترغيب ، قال : قال عبد العزيز ابن مروان : كان المسلمون يقولون عند حضرة شهر رمضان : اللهم قد أظلنا شهر رمضان وحضر ، فسلمه لنا وسلمنا له ، وارزقنا صيامه وقيامه ، وارزقنا فيه الجد والاجتهاد ، والقوة والنشاط ، وأعذنا فيه من الفتن .

وروى فى حديث أنه قال :

---

(١) وروى الإمام أحمد والبيهقى فى شعب الإيمان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« رمضان شهر مبارك : تفتح فيه أبواب الجنة ، وتغلق فيه أبواب السعير ، وتصفد فيه الشياطين ، وينادى مناد كل ليلة يا باغى الخير هلم ، ويا باغى الشر أقصر » .

أَتَاكُمْ رَمَضَانُ سَيِّدُ الشُّهُورِ فَمَرْحَباً بِهِ وأَهْلًا ، جَاء شَهْرُ رَمَضَانَ بِالْبَرَكَاتِ فَأَكْرِم بِهِ مِنْ زَائِرٍ هُوَ آتٍ .

وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يدعو ببلوغ رمضان ، فكان إذا دخل رجب يقول :

اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي رَجَب وَشَعْبَانَ وَبَلِّغْنَا رَمَضَانَ .

وقال معلى ابن الفضل : كان السلف يدعون الله ستة أشهر : أن يبلغهم رمضان ، ثم يدعونه ستة أشهر أن يتقبله منهم

قال يحي بن كثير : كان من دعائهم : اللهم سلمنى إلى رمضان ، وسلم لى رمضان ، وتسلمه منى متقبلا .

أتى رمضان مزرعة العباد ، لتطهيرهم من الفساد ، قد جاء شهر رمضان فيه الأمان ، والعتق والفوز بسكنى الجنان ، شهر شريف ، فيه نيل المنى ، وهو طراز فى كم الزمان ، من لم يربح فى هذا الشهر ، ففى أى وقت يربح؟ من لم يقرب فيه لمولاه فهو على بعده لايبرح ، فطوبى لمن تلقاه بعمل صالح ، وطهر فيه الجوارح ، من الآثام والقبائح .

وروى عن أَنس بن مالك رضى الله عنه أَنه قال :

« يَخْرُجُ الصَّائِمُونَ مِنْ قُبُورِهِمْ يُعْرَفُونَ بِرِيح صِيَامِهِمْ ،يَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ أَطْيَبُ مِنْ رِيح الْمِسْكِ» الحديث

إِخوانى : هذه بشارة للصوّام فى شهر رمضان ، إن حموا نفوسهم من الزلل والعصيان ، وأخلصوا صيامهم للواحد المنان ، فكيف حال المفرط الذى يصوم ويأكل لحوم الإِخوان ، ويصلى وجسمه فى مكان وقلبه فى مكان ، ويذكر الله بلسانه وقلبه مشغول بذكر فلان وفلان .

أين من صام عن الحرام وأفطر على الحلال؟ .

أَين من منع لسانه من الغيبة والنميمة وكف عن القيل والقال؟ .

أين من غض بصره عن الشهوات واتبع أحسن الخِلال؟

أين من أخلص صيامه لمولاه ذى الجلال ؟ .

اللهم اجعل التقوى لنا أربح بضاعة ، ولا تجعلنا فى شهرنا هذا من أهل التفريط والإِضاعة ، وآمن خوفنا يوم تقوم الساعة ، واغفر لنا ولوالدينا وجميع المسلمين الأحياء منهم والأَموات ، برحمتك يا أرحم الراحمين ، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين .

الفصل الثانى

فيما يجب على الصائم ويستحب

الحمد لله الحليم الستار ، المتفضل بالعطاء المدرار ، النافذ قضاؤه بما تجرى به الأقدار ، يدنى ويبعد ، ويشقى ، ويسعد ، « وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ » (١) .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، مكور الليل والنهار .

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المصطفى المختار ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ما طلع فجر واستنار ، وسلم تسليما .

اعلموا - رحمكم الله - أنه يجب على الصائم تقديم النية (٢)) ومحلها القلب ، وهى لازمة كل ليلة فى الصيام الواجب ، وهى اعتقاد القلب فعل الشىء وعزمه عليه من غير تردد ، ومحلها الليل كله ، ولو قبل الصبح بيسير .

---

(١) سورة القصص : ٦٨

(٢) هى لغة : القصد ، وهو عزم القلب على فعل الشىء ، وشرعاً : العزم على فعل العبادة تقرباً إلى الله عز وجل .

ومما يجب على الصائم وغيره اجتناب كذب ، وغيبة ، وشتم ، وكف لسانه عن جميع مايكره ، وينبغى أن يتلقى شهر رمضان بتوبة صادقة .

وأعلموا ، أنه لايتم الصوم إلا باستكمال ستة أمور :

الأول : « غض البصر وكفه عن الاتساع فى النظر إلى كل مايذم ويكره .

الثانى : حفظ اللسان عن الهذيان والغيبة والنميمة .

الثالث : كف السمع عن الإصغاء إلى كل محرم أو مكروه .

الرابع : كف بقية الجوارح عن الآثام .

الخامس : أن لايستكثر من الطعام .

السادس : أن يكون قلبه بعد الإفطار مضطرباً بين الخوف والرجاء ، إذ ليس يدرى أيقبل صيامه فهو من المقربين ، أو يرد عليه فهو من الممقوتين ، وليكن ذلك فى آخر كل عبادة .

ومن السنة تعجيل الفطور وتأخير السحور لقوله

صلى الله عليه وسلم « لايزال الناس بخير ما عجلوا الفطر وأَخروا السَّحور (١) .

والسنة (٢) أَن يفطر على رطب ، فإن لم يجد فعلى تمر (٣) ، فإن لم يجد فعلى ماء . ويسن أَن يدعو عند فطره بما ورد ، ومنه :

« اللَّهُمَّ لَكَ صُمْتُ وَعَلَى رِزْقِكَ أَفْطَرْتُ » (٤) .

وكان ابن عمر يقول عند فطره .

اللَّهُمَّ إِنِّى أَسْأَلُكَ بِرَحْمَتِكَ الَّتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَيىْءٍ أَنْ تَغْفِرَ لى » .

فاحفظوا رحمكم الله صيامكم بالتفرد عن كل شيطان

---

(١) رواه الإمام أحمد والترمذى ، وهو متفق عليه .

(٢) السنة هى : ما يثاب فاعلها ولا يعاقب تاركها .

(٣) فطور التمر سنه رسول الله سنه
ينال الأجر عبد يحلى منه سنه

وقد روى أبو داود والإمام أحمد والترمذى أنه صلى الله عليه وسلم كان يفطر على رطبات قبل أن يصلى، فإن لم تكن رطبات فتمرات ، فإن لم تكن تمرات حسا حسوات من ماء » .

(٤) ورواه الطبرانى ، وابن السنى عن ابن عباس بلفظ :
« اللهم لك صمت وعلى رزقك أفطرت ، فتقبل منى إنك أنت السميع العليم » .

مارد ، وتعرضوا لنفحات القبول ، واحسنوا الظن بالله والعقائد ، فعليكم عباد الله بفعل المندوبات ، واجتناب المحرمات ، والتورع عن المكروهات ، فبادروا رحمكم الله بالأعمال الصالحة ، فبين أيديكم الصراط والحساب ، وأهوال من سكرات الموت صعاب ، ويوم تنقطع فيه الأرحام والأَنساب ، ولا ينفع فيه الأَهل والأَموال ، والأسباب : إما نعيم فى الجنان ، أَو تقلب فى العذاب ، وكل ينادى بلسان الحسرات : « يا ويلتنا .. ما لهذا الكتاب » .

فيا من قادتهم الشهوات إلى الحفائر ، يا من دنس الحرام منهم البواطن والظواهر ، ويا من أعماهم الهوى فعميت منهم البصائر ، « ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر » .

كان خليل البصرى يقول : كلنا قد أيقن بالموت وما نرى له مستعداً ، وكلنا قد أَيقن بالجنة ، وما نرى لها عاملًا ، وكلنا قد أيقن بالنار ، وما نرى لها خائفًا ، فعلام تعرجون ، وما عسيتم تنتظرون . الموت أول وارد عليكم من الله تعالى بخير أو بشر .

فيا إخوتاه سيروا إلى ربكم سيراً جميلًا .

اللهم إنا نسألك أَن تبدل منا الفساد بالصلاح ، والخسران بالأرباح ، وأَن تعاملنا بالعفو والسماح ، وأن تغفر لنا ولوالدينا وجميع المسلمين الأحياء منهم والأموات برحمتك يا أرحم الراحمين، وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين .

الفصل الثالث

فى فضل الصيام

الحمد لله « غافر الذنب » وإن تكاثرت الذنوب ، « وقابل التوب » ، ممن يتوب « شديد العقاب » عند قسوة القلوب .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له : جابر الكسير ، وميسّر العسير ، ومفرج الكروب ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أعظم مخلوق وأشرف محبوب ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه عدد الشروق والغروب ، وسلم تسليما .

اعلموا رحمكم الله أن الله — تبارك وتعالى — يضاعف الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف ، إلا الصيام فإنه يضاعفه أضعافاً كثيرة ، فضلًا منه وإحسانا . ففى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

« كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ : الْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمَائَة ضِعْفٍ ، قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : [إِلَّا الصَّوْمَ فَإِنَّهُ

لى وَأَنَا أَجْزى بِهِ: تَرَكَ شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهُ وَشَرَابَهُ مِنْ أَجْلى ، لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ : فَرْحَةٌ عِنْدَ فِطْرِهِ وَفَرْحَةٌ عِنْدَ لِقَاءِ رَبِّهِ وَلَخُلُوفُ فَم الصَّائِم أَطْيَبُ عِنْدَ اللهِ مِنْ ريح الْمِسْكِ » .

وَفِى رواية « كُلُّ عَمَلِ ابْن آدَمَ لَهُ إِلَّا الصِّيَامَ فَإِنَّهُ لِى» وَفِى رِوَايَة لِلْبُخَارِىِّ

« لِكُلِّ عَمَل كَفَّارَةٌ ، وَالصَّوْمُ لِى وَأَنَا أَجْزِى (١) بِهِ » .

فعلى الرواية الأُولى يكون استثناء الصوم من الأَعمال المضاعفة ، فتكون الأَعمال كلها تضاعف بعشر أَمثالها إلى سبعمائة ضعف ، إلَّا الصيام ، فإنه لا ينحصر تضعيفه فى هذا العدد ، بل يضاعفه الله أَضعافاً كثيرة بغير عدد ، فإن الصيام من الصبر ، وقد قال الله

« إِنَّما يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٢) » .

---

(١) وروى أحمد ومسلم والنسائى وابن ماجه :

« كل عمل ابن آدم يضاعف : الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف ، إلى ماشاء الله قال الله عز وجل : إلا الصوم ، فإنه لى وأنا أجزى به ، يدع شهوته وطعامه من أجلى ، للصائم فرحتان : فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه ، ولخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك » .

(٢) سورة الزمر ، الآية : ١٠ .

ولهذا ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أَنه سمى شهر رمضان شهر الصبر (١) .

والصبر ثلاثة أنواع ، صبر على طاعة الله ؛ وصبر عن محارم الله ، وصبر على أَقدار الله .

وتجتمع الثلاثة كلها فى الصوم ، فإن فيه صبراً على طاعة الله ، وصبراً عن محارم الله التى حرمها على الصائم من الشهوات ، وصبراً على ما يحصل للصائم فيه من أَلم الجوع والعطش وضعف النفس والبدن ، وهذا الأَلم الناشئ من أعمال الطاعات يثاب عليه صاحبه .

وفى حديث سلمان المرفوع فى فضل شهر رمضان .

وَهُوَ شَهْرُ الصَّبْرِ ، والصَّبْرُ ثَوَابُهُ الْجَنَّةُ .

فمن رحمه الله فى هذا الشهر فهو المرحوم ، ومن حرمه خيره فهو المحروم ، ومن لم يتزود فيه لمعاده فهو ملوم .

وأعدوا لقدومه عدة ، واسأَلوا الله فيه التوفيق إلى أَن تكملوا العدة ، فالحذر من التفريط والإهمال

---

(١) «شهر الصبر ، وثلاثة أيام من كل شهر : صوم الدهر » رواه النسائى عن أبى هريرة .

والتكاسل فيه عن صالح الأعمال ، فهمة الصالحين فيه الصيام والقيام ، والكف عن فضول الكلام ، والاشتغال بذكر الملك العلام .

إخوانى : ما أحسن حال من التجأ إلى رب الأرباب ، ما أَطيب حال من انتمى إلى كل صالح أَواب ... ما أحسن حديث المحبين ... ما أَطيب أخبار المتقين ... ما أربح بضائع العاملين ... ما ألذ عتاب المشتاقين ... ما أنفع بكاء المحزونين ... ما أعذب مناجاة القائمين ... ما أَمرّ عيش المحجوبين ... ما أذل نفوس الخاطئين ... ما أسوأ حال المجرمين ، ما أعظم حسرة الغافلين ، ما أشنع عيش المطرودين (١) .

اللهم اجعلنا من المقبولين فى هذا الشهر الفضيل ، وخصنا به بالأَجر الوافر والعطاءِ الجزيل ، واغفر لنا فيه كل ذنب عظيم ، وخفف ظهورنا من كل وزر ثقيل ، وتقبل فيه يسير أعمالنا ، فإنك تقبل العمل القليل ، واغفر اللهم لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين ، وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين .

---

(١) المطرود هو : المبعد .

الفصل الرابع

فى مُضاعفة الأَجر للأَعمال

الحمد لله القائم على كل نفس بما كسبت ، القادر على تنفيذ مراده فيها ، رضيت بذلك أَم غضبت .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، شهادة حَلَّت فى القلوب وعلى الأَلسن حَلَتْ .

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذى ثبتت طاعته ووجبت ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ما طلعت شمس وغربت ، وسلم تسليما .

اعلموا رحمكم الله أَن عمل الصائم مضاعف كما فى الحديث عنه صلى الله عليه وسلم « إنَّ عَمَلَ الصَّائِم مُضَاعَفٌ » .

وذكر ابن أبى الدنيا عن أشياخه أنهم كانوا يقولون إذا حضر شهر رمضان : (انبسطوا فيه بالنفقة ، فإن النفقة فيه مضاعفة كالنفقة فى سبيل الله ، وتسبيحة فيه أفضل من ألف تسبيحة ، وركعة فيه أفضل من ألف ركعة) .

وفى حديث سلمان فى فضل شهر رمضان : (من تطوع فيه بخصلة من خصال الخير كان كمن أدى فريضة فيما سواه) وفى الترمذي عن أنس رضى الله عنه قال : « سُئِلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيُّ الصَّدَقَةِ أَفْضَلُ ؟ قَالَ : صَدَقَةٌ فِى رَمَضَانَ » .

ومضاعفة الأَعمال تكون بأسباب ؛ منها : شرف الزمان كرمضان ، ومنها : شرف المكان كالحرمين الشريفين ، ولذلك تضاعف الصلاة فى مسجدى مكة والمدينة كما ثبت ذلك فى الحديث عن النبى صلى الله وسلم أنه قال : « صَلَاةٌ فِى مَسْجِدِى هَذَا خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ صَلَاة فِيما سِوَاهُ مِنَ الْمَسَاجِدِ إِلَّا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ (١) »

وكذلك روى أَن الصيام يضاعف فى الحرم كما فى سنن ابن ماجه عن ابن عباس مرفوعاً (مَنْ أَدْرَكَ رَمَضَانَ بِمَكَّةَ فَصَامَهُ وَقَامَ مِنْهُ مَا تَيَسَّرَ كَتَبَ اللهُ لَهُ مِائَةَ أَلْفِ شَهْرِ رَمَضَانَ فِيمَا سِوَاهُ) وذكر له ثواباً كثيراً .

---

(١) وقال صلى الله عليه وسلم أيضا : « صلاة فى مسجدى هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه من المساجد إلا المسجد الحرام » ، رواه أحمد والترمذى والنسائى وابن ماجه — وهو متفق عليه من البخارى ومسلم .

وذكر ابن الجوزى فى التبصرة بسنده عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِن اللهَ تَبَارك وتعالى ليس بِتَارِكٍ أَحَدًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ صَبِيحَةَ أَوَّلِ يَوْمٍ مِنْ رَمَضَانَ إِلَّا غَفَرَ لَهُ » . وهذه بشارة عظيمة للمسلمين .

عباد الله سارعوا إلى الطاعات ، وحافظوا على الجمع والجماعات ، وجنبوا صيامكم الأُمور المفسدات ، واحذروا على أعمالكم من المحبطات ، واسألوا مولاكم أَن ينقذكم من الهفَوات ، وقوموا بالليل ، واسكبوا العبرات ،لعلكم تنجون من أهوال عسيرات .

قال أَحمد بن أبى الحوارى : (دخلت يوماً على أبى سليمان الدارانى فوجدته يبكى ، فقلت ما يبكيك ؟ فقال يا أحمد : وكيف لا أبكى وقد بلغنى أنه إذا جن الليل ، وهدأَت العيون ، وخلا كل حبيب بحبيبه استنارت قلوب العارفين ، وتلذذت بذكر ربها ، وارتفعت هممها إلى ذى العرش ، وافترش أَهل المحبة أَقدامهم بين يدى مليكهم فى مناجاتهم ، ورددوا كلامه

بأصوات محزونة ، وجرت دموعهم فقطرت على خدودهم فى محاريبهم خوفاً واشتياقاً إليه ، أشرف عليهم سبحانه ، ونظر إليهم :

أحبابى العارفين ، بى ، اشتغلتم بى ، ونفيتم عن قلوبكم ذكر غيرى ، أبشروا ، فإن لكم السرور والقرب يوم تلقوننى ، ونادى الجليل جل جلاله : يا جبريل بعينى من تلذذ بكلامى ،واستراح إلىّ ،و أناخ بفنائى ، فإنى مطلع عليهم فى خلواتهم ، أسمع أنينهم وبكاءهم ، وأرى تقلبهم واجتهادهم ، فنادِ فيهم : ما هذا البكاء الذى أسمع ؟ وما هذا التضرع الذى أرى منكم هل سمعتم أو أخبركم أحد أن حبيباً يعذب أحبابه بالنار ؟ أم بلغكم أنى أطرد من لاذ بى واستجار ؟ فوعزتى لأبيحنكم دار القرار ، ولأرفعن لكم حجبى والأستار ، ولأعوضنكم بدموعكم الفرح والاستبشار .

اللهم تقبل منا اليسير من الأعمال ، وتجاوز عنا الكثير من سيئات الأعمال ، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين ، الأحياء منهم والأموات ، برحمتك يا أرحم الراحمين ، وصلِّ الله على محمد وآله وصحبه أجمعين .

الفصل الخامس

فى إضافة الله تبارك وتعالى الصوم له

الحمد لله الذى نطقت بوحدانيته عجائب مصنوعاته وأطبقت على صمدانيته غرائب مبتدعاته ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له فى ذاته ولا فى صفاته ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليما .

اعلموا رحمكم الله أن العلماء اختلفوا فى قوله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه : « فِى كُلِّ عَمَلٍ كَفَّارَةٌ وَالصَّوْمُ لى » الحديث .

وأَحسن ما قيل فيه ما قاله سفيان بن عيينة معداً من أَحكم الأَحاديث وأجودها وأجلها ، وهو : « أَنه إذا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ يُحَاسِبُ اللهُ عَبْدَهُ وَيُؤَدِّى مَا عَلَيْهِ مِنْ الْمَظَالِم مِنْ سَائِرِ عَمَلِهِ ، حَتَّى لَا يَبْقَىٰ إلاّ الصَّوْمُ فَيَتَحَمَّلُ مَا بَقِىَ عَلَيْهِ مِنَ الْمَظَالِم ، وَيُدْخِلُهُ بِالصَّوْم الْجَنَّةُ » أَخرجه البيهقى فى شعب الإِيمان (١) .

---

(١) « الإيمان بضع وسبعون شعبة ، فأعلاها قول لا إله إلا الله ، وأدناها=

وعلى هذا يكون المعنى : أن الصيام لله عز وجل ، فلا سبيل لأحد إلى أخذ أجره من الصيام ، بل أجره مدخر لصاحبه عند الله عز وجل ، وحينئذ ، فقد يقال : إن سائر الأعمال قد يكفر بها ذنوب صاحبها ، فلا يبقى له أجر ؛ فإنه قد روى أنه يوازن يوم القيامة بين الحسنات والسيئات ، ويقتص لبعضهما من بعض ، فإن بقى من الحسنات حسنة دخل بها صاحبها الجنة ، قاله سعيد بن جبير وغيره .

وأما على الرواية الثانية فاستثناء الصوم من بين سائر الأعمال يرجع إلى أن سائر الأعمال للعباد ، والصيام اختصه الله لنفسه من بين سائر أعمال عباده ، وأضافه إليه ، فيكون المعنى : أن الصيام لله تبارك وتعالى — فلا يستطيع أحد إلى أخذ أجره من الصيام ، بل أجره مدخر له عند الله ، ولا يسقط ثوابه بمقاصة ولا غيرها ، بل يوفر أجره لصاحبه حتى يدخل الجنة فيوفى أجره فيها .

إخوانى : انظروا إلى بركة شهر رمضان ونفعه لكم

= إماطة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الإيمان » ورواه مسلم ، وأبو داود والنسائى ، وابن ماجه .

فى الدنيا والآخرة ، أما فى الدنيا فيحميكم من الشهوات الموجبة للنار والعذاب ، وأما فى الآخرة فتفوزوا بالعفو والرضى من الملك الوهاب .

قال منصور بن عمار الواعظ فى بعض مواعظه — لما ذكر شهر رمضان وذكر فضل صيامه وأجر قيامه ، وما أَعد الله فيه لمن أَخلص فى الأَعمال وتجنب الإِهمال ، فلم يبك فى مجلسه باك — قال : « يا قوم ألا باك على ماظهر من عيوبه؟ ، ألا راغب إلى الله فى غفران ذنوبه؟ ، أما هذا شهر التوبة والغفران ، أما هذا معدن العفو والرضوان ؟ أما فيه تفتح أَبواب الجنان ؟ أما فيه تغلق أَبواب النيران ؟ أَما فيه يصفد كل مارد وشيطان؟ أَما فيه تفرق خلع الإِحسان ؟ ، أما فيه يتجلى الملك الديّان ؟ أما فيه يعتق كل ليلة عند الإِفطار أَلف أَلف عتيق من النار ؟ فمالكم عن ثوابه غافلون ، وفى أَثواب المخالفة رافلون ، « أفسحر هذا أَم أنتم لاتبصرون» (١) « فتوبوا إلى الله جميعاً أَيها المؤمنون لعلكم تفلحون » (٢) .

---

(١) سورة الطور ، الآية : ١٤ .

(٢) سورة النور ، الآية : ٣٢ .

« اللهم **إنك عفو تحب العفو** فاعف عنَّا ، وتجاوز عنا ما اقترفناه من الذنوب .

واغفر اللهم لنا ، ولوالدينا ولجميع المسلمين ، برحمتك يا أَرحم الراحمين ، وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين .

الفصل السادس

فى أن الصيام من خصال الإيمان

الحمد لله مسخر السحب السائرة ، ومجرى الكواكب الزاهرة ، ومحيي العظام الناخرة .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له شهادة أدخرها للآخرة .

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، المؤيد بالمعجزات الباهرة ، وعلى آله وأصحابه ذوى المناقب الفاخرة ، وسلم تسليما

اعلموا رحمكم الله أن الصيام من خصال الإيمان ، كما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :

مِنْ خِصَالِ الْإِيمانِ الصَّوْمُ فِى الصَّيْفِ » .

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم رمضان فى السفر فِى شدةِ الحر دون أصحابه ، كما قال أبو الدرداء رضى الله عنه :

(كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِى رَمَضَانَ

فِى سَفَرٍ ، وأَحَدُنَا يَضَعُ يَدَهُ عَلَىٰ رَأْسِهِ مِنْ شِدَّةِ الْحَرِّ وَمَا فِينَا صَائِمٌ إِلَّا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَبْدُ اللهِ بِنُ رَوَاحَةَ) .

وفى الموطأ (١) أنه صلى الله عليه وسلم : كَانَ بالْفرج يصبُّ عَلَىٰ رَأْسِهِ الْمَاء وَهُوَ صَائِمٌ مِنَ الْعَطَشِ أَوِ الْحَرِّ.

فإذا اشتد توقان النفس إلى ما تشتهيه ، مع قدرتها عليه ثم تركته لله عز وجل فى موضع لايطلع عليها إلا الله عز وجل ، كان ذلك دليلًا على صحة الإيمان ، فإن الصائم يعلم أن له ربا يطلع عليه فى خلوته ، وقد حرم الله عليه أن يتناول شهوته المجبول على الميل إليها فى الخلوة ، فأطاع ربه وامتثل أمره واجتنب نهيه ، خوفاً من عقابه ورغبة فى ثوابه ، فشكر الله له ذلك ، واختص لنفسه عمله هذا من بين سائر أعماله ، ولهذا قال (إِنَّهُ تَرَكَ شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهُ وَشَرَابَهُ مِنْ أَجْلِى) .

قال بعض السلف « طوبى » (٢) : لمن ترك شهوةً حاضرةً لموعد غيب لم يره) فيا من فرط فى الأوقات الشريفة وضيعها و أودعها الأعمال السيئة : بئس ماستودعها

---

(١) موطأ الإمام مالك بن أنس .

(٢) « شجرة فى الجنة يسير الراكب فى ظلها مائة عام ما يقطعها » .

مضى شعبان وما أَحسنت فيه ، وهذا شهر رمضان المبارك فاجتهد فى أيامه ولياليه .

إِخوانى ما أحسن من خلع عليه مولاه خلع القبول ، وما أَنعم بالَ من بلغه غاية مقصوده والمأمول ، وما أَشق من رد عليه صيامه ، وأحصى عليه قبيحه وآثامه ، ومضت فى البطالة شهوره وأَعوامه ، وآثر شهوته على خدمة ربه إلى أن ذهبت ساعاته وأيامه .

حكى . أن بشراً الحافى مكث خمسين سنة يشتهى هريسة ، ففتح عليه فى بعض الأَيام بدرهم ،، فمضى إلى السوق ليشتريها به ،فسمع الهرّاس ينادى : « ماذا خبىء (١) للصوّام » ؟ فرجع باكيا ولم يشتر شيئاً ، فبقى مدة تطالبه نفسه بها ، فخرج إلى السوق ثانياً ليشتريها ،وإِذا بالهراس يقول : «بقى القليل» ، فبكى ورجع وعاهد الله أَن لايذوقها .

إِلهنا : إِن كنت لاترحم إِلا الطائعين فمن للعاصين وإِن كنت لاتقبل إِلا العاملين فمن للمقصرين .

---

(١) أى ادخر لهم عند الله عز وجل .

إلهنا : ربح الصائمون ، وفاز القائمون ، ونجا المخلصون ، ونحن عبيدك المذنبون ، فارحمنا برحمتك ، وجد علينا بفضلك ، واغفر لنا ولوالدينا وجميع المسلمين الأحياء منهم والميتين ، برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين .

الفصل السابع

فى الوجه الثانى فى قوله « إلا الصيام فإنه لى »

الحمد لله عالم السر والنجوى ، وكاشف الضر والبلوى ، الذى خلق فسوى ، والذى أخرج المرعى .

وأشهد أن لا إله إلا الله الواحد الأحد الذى لا رب سواه فيدعى .

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه مصابيح الدجى ، وسلم تسليما .

الوجه الثانى فى قوله « إلا الصيام فإنه لى » وذلك أن الصيام سر بين العبد ربه ، لايطلع عليه غيره ، لأنه مركب من نية باطنة ، لا يطلع عليها إلا الله عزوجل ، وترك لتناول الشهوات التى يخفى تناولها فى العادة ؛ ولذلك قيل : لا تكتبه الحفظة ؛ وقيل : إنه ليس فيه رياء (١) قاله الإمام أحمد وغيره ، وفيه حديث مرفوع مرسل ، وهذا الوجه هو اختيار أبى عبيدة وغيره ، وقد يرجع

(١) ونص فى الحديث الشريف على ذلك فيما رواه البيهقى فى شعب الإيمان عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« الصيام لا رياء فيه — قال الله تعالى : هو لى وأنا أجزى به ، يدع طعامه وشرابه من أجلى » .

إلى الأول ، فإن من ترك ما تدعوه نفسه إليه لله عز وجل حيث لايطلع عليه إلا من أمره ونهاه دل على صحة إيمانه ، والله سبحانه يحب من عباده أن يعاملوه سراً بينهم وبينه ، لا يطلع على معاملتهم إياه سواه ، حتى كان بعض السلف يود لو تمكن من عبادة لايشعر بها الملائكة الحفظة ،،

وقال بعضهم : لما اطلع على بعض سرائره : (وإنما كانت تطيب الحياة حيث كانت المعاملة بينى وبينه سراً) ثم دعا على نفسه بالموت فمات .

المحبون يغارون من اطلاع الأغيار على الأسرار التى بينهم وبين من يحبهم ويحبونه .

نَسِيمَ صَبَا نَجدٍ مَتَىٰ جِئْتَ حَامِلًا
تَحِيَّتَهُمْ فَاطْوِ الْحَدِيثَ عَنِ الرَّكْبِ
وَلَا تُذِعِ السِّرَّ الْمَصُونَ فَإِنَّنِى
أَغَارُ عَلَىٰ ذِكْرِ الْأَحِبَّةِ مِنْ صَحْبِى

فيا من يبارز بالعصيان ولم يستح من رقيبه ، وقد فات سبعة أيام من شهر رمضان وما فاز بمصالحة حبيبه ، وقد ذهب نسيم القبول وما تَنَشَّقَ عَرْف (١)

---

(١) عرف الطيب هو : ريحته الطيبة .

طيبه ، أما سمعت قول الملك المنان فى شهر رمضان وترغيبه ؟ :

« الصَّوْمُ لِى وَأَنَا الَّذِى أَجْزِى به »

مَنْ كَانَ يَشْكُو أَعْظَمَ دَاءِ ذُنُوبِهْ

فَلْيَأْتِ فِى رَمَضَانَ بَابَ طَبِيبِهْ

وَيَفُوزُ مَنْ عَرَفَ الصِّيَامَ بِطِيبِهْ

أَوَ لَيْسَ قَالَ اللهُ فِى تَرْغِيبِهْ :

الصَّوْمُ لى وَأَنَا الَّذِى أَجْزِى بِهْ

يَا صَائِمِى رَمَضَانَ فُوزُوا بِالْمُنَى

وَتَحَقَّقُوا نَيْلَ السَّعَادَةِ وَالْغِنَى

وَثِقُوا بِوَعْدِ اللهِ إِذْ فِيهِ الْهَنَا

أَوَ لَيْسَ هَذَا مِنْ كَلَامِ إِلٰهِنَا :

الصَّوْمُ لِى وَأَنَا الَّذِى أَجْزِى بِهْ

مَنْ صَامَ نَالَ الْفَوْزَ مِنْ رَبِّ الْعُلَا

وَبِوَجْهِهِ أَضْحَى إِلَيْهِ مُقْبِلَا

يَا مَنْ يَرُومُ تَوَسُّلًا وَتَوَصُّلَا

صُمْ رَغْبَةً فِى قَوْلِ رَبٍّ قَدْ عَلَا :

الصَّوْمُ لى وَأَنَا الَّذِى أَجْزِى بِهْ

يَفُوزُ مَنْ لِلصَّوْمِ قَامَ بِحَقِّهِ
وَأَتَىٰ بِحُسْنِ الْقَوْلِ فِيهِ وَصِدْقِهِ
وَمِنْ الْجَحِيمِ نَجَا وَفَازَ بِعِتْقِهِ
فَاللهُ قَالَ عَنِ الصِّيَامِ لِخَلْقِهِ:
الصَّوْمُ لى وَأَنَا الَّذِى أَجْزِى بِهْ

وروى عن أَبى سليمان الدارنى أَنه صام يوماً فى الحر ثم نام ، فرأى قائلا يقول : أَتبيع ثواب صومك هذا اليوم بمائة أَلف دينار ؟ فقال : لا وعزة ربى : : فقيل بأَى شىءٍ تبيعه ؟ فقال لا أَبيع الثواب بالدنيا وما فيها ، ولكن أَبيعه بالنظر إِلى المولى ، فقيل له : صم ، فسوف تراه إِن شاءَ الله .

اللهم إِنا نسأَلك بأَسمائك الحسنى وصفاتك العليا أَن تعفو عنا وترحمنا برحمتك الواسعة ، يا حى ياقيوم ، برحمتك نستغيث ، ومن عذابك نستجير ، لا إِله إِلا أَنت .

واغفر اللهم لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين ، الأَحياء منهم والأَموات ، برحمتك يا أَرحم الراحمين .

وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين .

الفصل الثامن

فى قوله ترك شهوته وطعامه إلى آخره

الحمد لله الذى تفرد بالعز والجلال ، وتوحد بالكبرياء والكمال .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، لانفاد لحكمه ولا زوال .

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذى أكرمه الله بأشرف الخصال ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه بالغدوّ والآصال ، وسلم تسليما .

وأما قوله : « ترك شهوته وطعامه وشرابه من أجلى » إشارة إلى أن الصائم يتقرب إلى الله بترك ما تشتهيه نفسه من الطعام ، والشراب ، والنكاح ، وهذه أعظم شهوات النفس ، وفى التقرب بترك هذه الشهوات بالصيام فوائد عديدة .

منها: خضوع النفس ، فإن الشبع والرى ومباشرة النساءِ : تحمل النفس على الأَشر والبطر ونسيان ذكر الله .

ومنها : تخلى القلب للفكر والذكر ؛ فإن تناول هذه الشهوات قد تقسى القلب وتعميه ، وتحول بين العبد وربه ، وخلو البطن من الطعام والشراب ينور القلب ، ويوجب رقته ، ويزيل قسوته ، ويخليه للذكر والفكر .

ومنها تكثير الثواب ، كما قال أبو أُمامة الباهلى للنبي صلى الله عليه وسلم : (دُلَّنِي عَلَىٰ عَمَل آخُذُه عَنْكَ قَالَ : عَلَيْكَ بِالصَّوْم فَإِنَّه لَا عدْلَ » (١) .

ومنها النجاة من العقاب لما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أَنه قال : الصَّوْمُ جُنَّةٌ (٢)) .

وروى « الصَّوْمُ ، جُنَّةٌ : فِي الدنْيَا عَن الشَّيْطَان ، وَفِي الآخِرَةِ مِنَ النِّيرَانِ »

وروى أن الجنة تشتاق إلى أَربعة نفر :

---

(١) وروى الإمام أحمد وابن حبان والحاكم عن أبى أمامة رضى الله عنه : « عليك بالصوم فإنه لا مثل له » .

(٢) رواه النسائى عن معاذ ، ومعنى «جنة» أى تقية وحماية يحمى الله سبحانه وتعالى بها العبد .

صائم رمضان ، وتالى القرآن ، وحافظ اللسان ، ومطعم الجيعان ؟ .

ومنها : عفو رب الأَرباب ، لقوله صلى الله عليه وسلم (أَتَاكُمْ شَهْرٌ أَوَّلُهُ رَحْمَةٌ وَأَوْسَطُهُ مَغْفِرَةٌ وَآخِرُهُ عِتْقٌ مِنَ النَّارِ .

وفى الأثر عنه صلى عليه وسلم (إِنَّ الْحُورَ تُنَادِى فِى شَهْرِ رَمَضَانَ : هَلْ مِنْ خَاطِبٍ إِلىٰ اللهِ فَيُزَوِّجَهُ مهور الْحورِ الْعين طول التهجد) وهو حاصل فى هذا الشهر أَكثر من غيره .

يا قوم ، أَلا خاطب فى هذا الشهر إِلى الرحمن ؟ ألا راغب فيما أُعدّ الله للطائعين فى الجنان ؟ أَلا طالب لما أَخبر به من النعيم المقيم ، مع أَن الخبر ليس كالعيان ؟

مَنْ يُرِدْ مَلْكَ الْجِنَانِ فَلْيَدَعْ عَنْهُ التَّوَانِى
وَلْيَقُمْ فِى ظُلْمَةِ اللَّيْلِ إِلىٰ نُورِ الْقُرْآن
وَلْيَصِلْ صَوْمًا بِصَوْمٍ إِنَّ هَذَا الْعَيْشَ فَانِ
فَإِنَّمَا الْعَيْشُ فِى جوَارِ اللهِ : فِى دَارِ الْأَمَان

فسبحان من اختص أَقواماً بخدمته ، وشغلهم بمحبته فما لهم بغيره اشتغال ، صاموا عن الشهوات فمحا عنهم السيئات ، وبلغهم المقاصد والآمال ، أَعانهم على الصيام فصاموا ، وأَقامهم فى الظلام فقاموا إلى خدمته فى الليالى الطوال .

سمعوا فى صحيح السنة ، أَن « الصوم جُنة » ، فحموا نفوسهم من قبيح الفعال ، والمقال فيا سعادة من قبلت منه فى شهره الأَعمال ، ويا شقاوة من فرط فى صيامه بالإهمال .

اللهم اعتقنا من النار ، وأَسكنا دار القرار ، واجعلنا من أَوليائك الأَبرار ، وامح عنا جميع الأَوزار ، واغفر لنا ولوالدينا وجميع المسلمين .

وصلى الله على محمد وآله وصحبه أَجمعين .

الفصل التاسع

فى قوله للصائم فرحتان

الحمد لله الذى يحيينا بعد مماتنا ، وتكفل بأَرزاقنا وأَقواتنا ، وأَمرنا بتوحيده فى جميع أَوقاتنا .

وأَشهد أَن لا إله إلا الله ، وحده لاشريك له ، إله يعلم ما نحن عليه من أَسرارنا ونياتنا .

وأَشهد أَنمحمداً عبده ورسوله ، صلى الله عليه وعلى آله وأَصحابه وسلم تسليما .

وقوله صلى الله عليه وسلم : (للصَّائِمِ فَرْحَتَانِ :فَرْحَةٌ عِنْدَ فِطْرِهِ) (١) وَفَرْحَةٌ عِنْدَ لِقَاءِ رَبِّهِ (٢) .

فأَما فرحه عند فطره ، فإن النفوس مجبولة على الميل إلى ما يلائمها من : مطعم ، ومشرب ، ومنكح ، فإذا منعت من ذلك فى وقت من الأَوقات ، ثم أبيح لها فى وقت آخر ، فرحت بإباحة ما منعت منه ، خصوصا

---

(١) ويستحب أن يقول عند فطره : «اللهم لك صمت ، وعلى رزقك أفطرت ذهب الظمأ وابتلت العروق ، وبقى الأجر إن شاء الله» .

(٢) ورواه الإمام الترمذى بلفظ : « للصائم فرحتان ، فرحة حين يفطر وفرحة حين يلقى ربه » .

عند اشتداد الحاجة إليه ، فإن النفوس تفرح بذلك طبعاً ، فإن كان ذلك محبوبا إلى الله كان محبوبا شرعا ، والصائم عند فطره كذلك . فكما أن الله حرم على الصائم فى نهار الصيام تناول هذه الشهوات ، فقد أذن له فيها فى ليل الصيام ؛ بل أحب منه المبادرة إلى تناولها فى أول الليل وآخره ، فأحب عباده إليه أعجلهم فطراً (١) والله وملائكته يصلون على المتسحرين (٢) فالصائم ترك شهواته لله بالنهار ، تقربا إليه وطاعة له ، وبادر إليها بالليل تقربا إلى الله وطاعة له ، فما تركها إلا بأمر ربه ، ولا عاد إليها إلا بأمر ربه ، فهو مطيع له فى الحالين ، فإذا بادر الصائم إلى الفطر تقرباً إلى مولاه ، وأكل وشرب وحمد الله ، فإنه يرجى له المغفرة وبلوغ الرضوان بذلك وفى الحديث « إِنَّ اللهَ لَيَرْضَىٰ عَنِ الْعَبْدِ يَأْكُلُ الْأَكْلَةَ فَيَحْمَدُهُ عَلَيْهَا وَيَشْرَبُ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدُهُ عَلَيْهَا » (٣) وربما

---

(١) من السنة تعجيل الفطور وتأخير السحور كما قال صلى الله عليه وسلم ، فيما رواه الطبرانى عن أم حكيم ، «عجلوا الفطر ، وأخروا السحور» . والدعوة عند الفطر لا ترد كما فى «الحديث ثلاثة لا ترد دعوتهم : دعوة المسافر ، ودعوة الوالد لولده ، ودعوة الصائم عند فطره » .

(٢) هذا لفظ حديث رواه ابن حبان والطبرانى فى الأوسط وأبو نعيم فى الحلية عن ابن عمر .

(٣) حديث « إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة أو يشرب الشربة فيحمد الله عليها » ، رواه الإمام أحمد والإمام مسلم ، والترمذى والنسائى عن أنس .

استجيب له دعاؤه كما فى الحديث المرفوع عن ابن ماجه « إِنَّ للصَّائِمُ عِنْدَ فِطْرِهِ دَعْوَةٌ لاترد » .

من فهم هذا المعنى المشار إليه لم يتوقف فى معنى فرح الصائم عند فطره ، فإن فطره على الوجه الذى أَشرنا إليه من فضل الله ورحمته ، فيدخل فى قوله تعالى :

(قُلْ بِفَضْلِ اللهِ وبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا) الآية :

ولكن شرط ذلك أَن يكون فطره على حلال ، فإن كان فطره على حرام كان كمن صام عما أحل الله ، وأَفطر على ما حرم الله عليه ، ولم يستجب له دعاؤه . كما قال النبى صلى الله عليه وسلم : فى الذى يطيل السفر يمد يديه إلى السماء يارب ، يارب ، ومطعمه حرام ، ومشربه حرام ، وملبسه حرام ، وغذى بالحرام ، فأَنى يستجاب لذلك ؟

إخوانى انتبهوا من رقدة الهجوع ، وافزعوا إلى الله تعالى بالتضرع والخضوع ، فكأنكم بالموت وقد فرق الجموع ، وأَخلى القصور والربوع ، وأَمطر عليهم سحائب الدموع ، وناداهم المشوق بطرف باك وقلب موجوع .

قيل لحسان بن أبى سنان : كيف تجدك ؟ قال : بخير إن نجوت من النار ، قيل له : ما تشتهى ؟ قال : ليلة طويلة أصليها كلها .

ويروى أن رجلًا جاء إلى مقبرة فصلى ركعتين خارجها ثم اضطجع ، فرأى فى منامه صاحب القبر ، فقال له : يا هذا ؛ إنكم تعملون ولا تعلمون ، ونحن نعلم ولا نعمل ، والله لأن تكون ركعتان فى صحيفتى أحب إلىّ من الدنيا وما فيها ؟

اللهم برحمتك نرجو ، فلا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين ، وأصلح لنا شأننا كله ، لا إله إلا أنت ، واغفر اللهم لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين ، الأحياء منهم والميتين ، برحمتك يا أرحم الراحمين .

وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين .

الفصل العاشر

فى قوله : وفرحة عند لقاء ربه

الحمد لله الذى لطف وأعان ، وإذا عطف صان ، أكرَم من شاء ، ومن شاء أَهان .

وأَشهد أَن لا إِله إِلا الله وحده لاشريك له ، الحنَّان المنَّــــان .

وأَشهد أَن محمداً عبده ورسوله ، المبعوث رحمة للإِنس والجان ، صلى الله عليه وعلى آله وأَصحابه ما اختلف الجديدان ، وسلم تسليما .

فأَما قوله صلى الله عليه وسلم : (وَفَرْحَةٌ عِنْدَ لِقَاءِ رَبِّهِ) فيما يجده عند الله من ثواب الصيام مدخراً ، فيجده أَحوج ما كان إِليه ، كما قال تعالى : « وَمَا تُقَدِّمُوا لأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللهِ هُوَ خَيْرًا وأَعْظَمَ أَجْرًا (١)» . وقال تعالى ، « يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْر

(١) سورة المزمل ، الآية : ٢٠ .

مَحْضَراً (١) » . وقال تعالى : « وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّة خَيْراً يَرَهُ » (٢) .

وعن عيسى عليه السلام أنه قال : (إن هذا الليل والنهار خزانتان ، فانظروا ما تضعون بهما » .

فالأيام خزائن للناس ممتلئة بما خزنوه فيها من خير وشر ، وفى يوم القيامة تفتح هذه الخزائن لأهلها ، فالمتقون يجدون فى هذه الخزائن العز والكرامة ، والمذنبون يجدون فى خزائنهم الحسرة والندامة ؛ قال أبو سليمان الدارانى : تَبْعث الحورية الوصيفَ من وصفائها فتقول : ويحك ، انظر ما فعل بولى الله ؟ فتستبطئه ، فتبعث وصيفاً آخر ، فيأْتى الأَول فيقول : تركته عند الميزان ، ويأْتى الثانى فيقول ، تركته عند الصراط ، ويأْتى الثالث فيقول : قد دخل باب الجنة ، فيستخفها الفرح فتقف على الباب ، فإذا أتاها اعتنقته فيدخل خياشيمه من ريحها مالايخرج أَبداً .

قَدْ أُزْلِفَتْ جَنَّةُ النَّعِيم فَيَـا
طُوبىٰ لِقَوْمٍ بَرَبْعِهَا نَزَلُوا

---

(١) الآية فى سورة آل عمران ٣٠ .
(٢) سورة الزلزلة ، الآية : ٧ .

وَالْحُورُ تَلْقَاهُمْ وَقَدْ كُشِفَتْ
عَنِ الْوُجُوهِ الأَسْتَارُ والْكُلَلُ

أَكْوَابُهُمْ عَسْجَدٌ يُطَافُ بِهَا
وَالْخَمْرُ والسَّلْسَبِيلُ وَالْعَسَلُ

وفى الصحيحين يقول الله تعالى :

« أَعْدَدْتُ لِعِبَادِى الصَّالِحِينَ مَا لا عَيْنٌ رَأَتْ ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ ، وَلا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ » .

وقد جاءَ : إن الله يباهى بقوّام الليل فى الظلام الملائكة ، يقول : انظروا إلى عبادى قد قاموا فى ظلمة الليل ، حين لا يراهم أَحد غيرى ، أَشهدكم أَنى قد أَبحتهم دار كرامتى » .

وفى رواية لمسلم « إنَّ فِى اللَّيْلِ لَسَاعَةً لَا يُوَافِقُهَا رَجُلٌ مُسْلِمٍ يَسأَلُ اللهَ خَيْرًا مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ ، وَذَلِكَ فِى كُلِّ لَيْلَةٍ » .

بِبَابِكَ عَبْدٌ مِنْ عَبِيدِكَ مُذْنِبُ
كَثِيرُ الْخَطَايَا جَاءَ يَسْأَلُكَ الْعَفْوَا

فَأَنْزِلْ عَلَيَّ الْعَفْوَ يَا مَنْ بِفَضْلِهِ
عَلَىٰ قَوْمِ مُوسَى أَنْزَلَ الْمَنَّ والسَّلْوَىٰ

اللهم آنسنا إذا أُودِعنا فى الأَلحاد ، ونسينا الأَهل والعوّاد ، ولم يبق إلا عفوك يا كريم يا جوّاد ، واغفر اللهم لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين ، الأَحياء والميتين ، برحمتك يا أَرحم الراحمين .

وصلى الله على محمد وآله وصحبه أَجمعين .

الفصل الحادى عشر

فى قوله : ولخلوف فم الصائم . إلى آخره

الحمد لله الذى أَنعم على أَوليائه بالمحبة .

وزهدهم فى الدنيا فلم يرغبوا فى مثقال ذرة أَو حبه .

وأَشهد أَن لا إله إلا الله ، وحده لاشريك له ، شهادة من عرف ربه .

وأَشهد أَن محمداً عبده ورسوله أَفضل من نصح الخلق ونبّه .

صلى الله عليه وعلى آله وأَصحابه الذين فضلوا بالصحبة ، وسلم تسليما .

فأَما قوله صلى الله عليه وسلم (وَلَخَلُوفُ فَمِ الصّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللهِ مِنْ ريح الْمِسْكِ) .

خلوف الفم رائحة ما يتصاعد منه من الأَبخرة لخلو المعدة من الطعام بالصيام ، وهى رائحة مستكرهة فى مشامّ الناس فى الدنيا ، ولكنها طيبة عند الله ، حيث كانت ناشئة عن طاعة الله وابتغاء مرضاته ، كما أَن دم الشهيد

يجىءُ يوم القيامة يثْعَب دماً : لونه لون الدم ، وريحه ريح المسك .

وفى طيب ريح خلوف فم الصائم معنيان .

أَحدهما أَن الصيام لما كان سراً بين العبد وبين ربه فى الدنيا أَظهره الله فى الآخرة علانية للخلق ، ليشتهر بذلك أَهل الصيام ، ويعرفون بصيامهم بين الناس ، جزاء لإخفائهم صيامهم فى الدنيا .

وروى أَبو الشيخ الأَصبهانى بإسناد فيه ضعف عن النبى صلى الله عليه وسلم مرفوعاً :

(يَخْرُجُ الصَّائِمُونَ مِنْ قُبورِهِمْ يُعْرَفُونَ بِرِيحِ أَفْوَاهِهِمْ : رِيحُ أَفْوَاهِهِمْ أَطْيَبُ عِنْـدَ اللهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ) .

قال مكحول : « يُرَوَّح أَهل الجنة برائحة ، فيقولون : ربنا : ما وجدنا ريحاً منذ دخلنا الجنة أَطيب من هـذه الريح ، فيقال : هذه رائحة « أَفواه الصائمين » .

يا هذا اغتنم زمان الأَرباح فأَيام المواسم معدودة ،

استدرك ما بقى من ليالى الصوم ، فساعاته مشهودة ، جدّ فى طلب الغنائم فأَعمال الصائم مقبولة .

وقد روى أَنَّ الصَّائِمَ : نَوْمُهُ عِبَادَةٌ ، وَدُعَاؤهُ مُسْتَجَابٌ وَعَمَلُهُ مُضَاعَفٌ (١) .

وكيف لا يكون كذلك . وقد منع نفسه الشهوات ، وترك اللذات ، فآثر نصيب مولاه على نصيبه من الملاذّ والشهوات ، وأَطاع أَمر معبوده ، وتلذذ بركوعه وسجوده(٢) ، كما قيل : إن العبد إذا نام فى سجوده يباهى الله به الملائكة ، فيقول سبحانه : يا ملائكتى انظروا إلى عبدى ، روحه عندى ، وجسده بين يدى ، أَشهدكم أَنى قد غفرت له .

آه على من كانت النار مثواه ، وعلى من عصى مولاه ،

---

(١) وقد روى البيهقى فى شعب الإيمان من طريق عبد الله ابن أبى أوفى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« نوم الصائم عبادة ، وصمته تسبيح ، وعمله مضاعف ، ودعاؤه مستجاب ، وذنبه مغفور » .

صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٢) أما الركوع فعظموا فيه الرب ، وأما السجود فأكثروا فيه من الدعاء نضمن أن يستجاب لكم .

وباع آخرته بدنياه ، وعلى من كان التعذيب عقباه ، وعلى من استهواه غيه فاستعبده هواه ، وعلى المطرود فى هذا الشهر عن باب مولاه .

اللهم لاتطردنا عن بابك بعيوبنا ، ولا تحرمنا من فضلك بذنوبنا ، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين الأَحياءِ منهم والأَموات ، برحمتك ياأَرحم الراحمين .

وصلى الله على محمد وآله وصحبه أَجمعين .

الفصل الثاني عشر

فى المعنى الثانى فى طيب خلوف فم الصائم

الحمد لله الذى مَنَّ علينا بفضله العميم ، إذ مَنَّ علينا بمحمد أَفضل الخلق فهدانا إِلى دين الحق والصراط المستقيم .

وأَشهد أَن لا إِله إِلا الله وحده لاشريك له الكريم الحليم .

وأَشهد أَن محمداً عبده ورسوله ، وحبيبه وخليله الذى خُصَّ بالقرآن والخلق العظيم ، صلى الله عليه وعلى آله وأَصحابه الذين فازوا بالحظ الجسيم ، وسلم تسليما .

فأَما المعنى الثانى فى طيب ريح خلوف فم الصائم فهو والله أَعلم : أَن من عبد الله وأَطاعه وطلب رضاه فى الدنيا نشأَ من عمله آثار مكروهة للنفوس فى الدنيا ؛ فإِن تلك الآثار غير مكروهة عند الله ، بل هى محبوبة له وطيبة عنده ، لكونها نشأَت عن طاعته واتباع مرضاته ، فإِخباره بذلك للعاملين فى الدنيا تطييب لقلوبهم ، لئلا يكره منهم ما وجد فى الدنيا .

قال بعض السلف : (واعد الله موسى عليه الصلاة والسلام ثلاثين ليلة أن يكلمه على رأسها ، فصام ثلاثين يوماً ثم وجد من فيه خلوفاً فكره أن يناجى ربه على تلك الحال ، فأخذ سواكا فاستاك ، فلما أتى لموعد الله إياه قال له : يا موسى ، أما علمت أن خلوف فم الصائم أطيب عندنا من ريح المسك ؟ ، ارجع فصم عشرة أيام أخرى) .

وقد ورد فى حديث مرسل :

« كل شىءٍ ناقِصٍ فِى عُرْفِ النَّاسِ فِى الدُّنْيَا إذا انْتَسَبَ إلى طاعةِ اللهِ وَرِضَاهُ فَهُوَ الْكَامِلُ فى الْحَقِيقَةِ » .

خلوف الصائمين له أطيب من ريح المسك ، نَوْح المذنبين على أنفسهم من خشية الله أفضل من التسبيح ، انكسار المخبتين لعظمته هو الجبر .

عباد الله ، اعلموا أن الأعمار مقدرة بالشهور والأعوام ، والبقاء فى الدنيا يفنيه مرور الليالى والأيام ، فساعات العمر بالعد ، وأوقات الحياة معلومة بالحد ، فماظنكم بعمر تفنيه الأنفاس بمرورها ، والليالى والأيام بكرورها ،

كيف يلهو صاحبه بلذاذة نفسه عن ذكر مماته ، ورمسه (١) .

إخواني : ارغبوا فيما عند الله عز وجل من الأجر والثواب ، وودعوا شهر رمضان فقد عزم على الذهاب ، وبادروا بالأعمال الصالحة قبل غلق الباب ، فهذا شهر رمضان ، قد أزف رحيله ، وحان تحويله ، فأكثروا فيه من الأعمال الصالحة وزودوه ، فلله أقوام صاموا عن الشهوات ، وقاموا فى الخلوات ، يرتلون القرآن ترتيلا بقلوب وجلات ، فلو رأيتهم وقت السحر : هذا يبكى ويعدد ، وهذا يقرأ ويردد ، وهذا يترنم بالقرآن فيطرب أسماعا ويسبى عقولا .

اللهم أيقظنا من نوم الغفلة ، ووفقنا لاغتنام أوقات المهلة ، واغفر اللهم لنا ولوالدينا وجميع المسلمين ، برحمتك يا أرحم الراحمين .

وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين .

(١) أى قبره ؛ هو : كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «القبر إما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار» .

الفصل الثالث عشر

فى العشر الأوسط من رمضان

الحمد لله الذى خلق الأنام ، وقدّر أرزاقهم من فضله ، وبين الحلال والحرام .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له الْمَلِكُ القدوس السلام .

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، المختص بمزيد الإكرام ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الأماجد الكرام ، وسلم تسليما .

فى الصحيحين عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم يَعْتَكِفُ فِى الْعَشْرِ الأَوْسَطِ مِنْ رَمَضَانَ ، فاعْتَكَفَ عَاماً حَتَّى كانَ لَيْلَةَ إِحْدَىٰ وَعِشْرِينَ ، وَهِىَ اللَّيْلَةُ الَّتِى يَخْرُجُ فِى صَبِيحَتِهَا مِنِ اعْتِكَافِهِ ، فَقَالَ : مَنْ كَانَ اعْتَكَفَ مَعِى فَلْيَعْتَكِفْ الْعَشْرَ الأَوَاخِرَ ، فَإِنِّى قَدْ رَأَيْتُ هَذِهِ اللَّيْلَةَ ، ثُم أُنْسِيتُهَا ، وَقَدْ رَأَيْتُنِى فِى مَاءٍ وَطِين فِى صَبِيحَتِهَا ،

فالْتَمِسُوهَا فِى الْعَشْرِ الأَوَاخِرِ ، وَالْتَمِسُوهَا فِى كُلِّ وَقْت ، فَمَطَرَتِ السَّمَاءُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ ، وَكَانَ الْمَسْجِدُ عَلَى عَرِيشٍ فَوَكَفَ الْمَسْجِدُ ، فَبَصُرَتْ عَيْنَاىَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى جَبْهَتِهِ أَثَرُ الْمَاءِ وَالطين مِنْ صُبْحِ إِحْدَى وَعِشْرِينَ (١) .

وهذا يدل على أنه اعتكف العشر الأوسط ابتغاءَ ليلة القدر ، ثم تبين له أنها فى العشر الأواخر ، فاعتكف العشر الأواخر حتى قبضه الله تعالى .

عباد الله إن شهركم هذا قد مضى منه العَشْرُ الأُول ، وها أنتم فى العشر الأواسط ، الحذر الحذر من الزيغ والزلل ، هـذه أوقات زواهر ما أشرفها ، وساعات

(١) ولفظ مسلم عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال :
« اعتكفنا مع رسول الله صلى عليه وسلم العشر الوسطى من رمضان فخرجنا صبيحة عشرين فخطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إنى أريت ليلة القدر ، وإنى نسيتها [أو أنسيتها] فالتمسوها فى العشر الأواخر من كل وتر ، وإنى رأيت أنى أسجد فى ماء وطين — فمن كان اعتكف مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فليرجع ، قال : فرجعنا وما ترى فى السماء قزعة — قال : وجاءت سحابة فمطرنا حتى سال سقف المسـجد ، وكان من جريد النخل ، وأقيمت الصلاة ، فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يسـجد فى الماء والطين — قال : حتى رأيت أثر الطين فى جبهته » .

كالجواهر ما أظرفها ، أشرقت لياليها بصلاة التراويح ، وأنارت أيامها بالصلاة وقراءة القرآن والتسبيح ، فاجتهدوا فيها على الإخلاص والصدق ، لعلكم تدركون الخلاص والعتق .

وروى عن كعب الأحبار رضى الله عنه أنه قال : « ما من يوم إلا والقبر ينادى خمس مرات بهذه الكلمة : يا ابن آدم تمشى على ظهرى ومصيرك فى بطنى يا ابن آدم تأكل الحرام على ظهرى وتأكلك الديدان فى بطنى . يابن آدم تضحك على ظهرى ، ثم تبكى فى بطنى ، يا ابن آدم تفرح على ظهرى وتحزن فى بطنى » .

وروى أَنَّ عُثْمَانَ (١) بْنَ عَفَّانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَقَفَ عَلَىٰ قَبْرٍ فَبَكَىٰ : فَقِيلَ لَهُ : إِنَّكَ تَذْكُرُ الْجَنَّةَ وَالنَّارُ فَلَا تَبْكِي ، وَتَبْكِي مِنْ هَذَا ، فَقَالَ : إِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم قَالَ :

القَبْرُ أَوَّلُ مَنْزِلٍ مِنْ مَنَازِلِ الْآخِرَةِ ، فَإِنْ نَجا مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَيسَرُ مِنْهُ ، وإِنْ لَمْ يَنْجُ مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَشَدُّ »

---

(١) عثمان بن عفان هو : الخليفة الثالث : وهو من المشهود لهم بالجنة رضى الله عنه .

حق على من يكون الموت مورده ، وظلمة القبر بعد الموت ملحده ، أن لا يُرَىٰ حقاً إلا خائفاً وجلًا .

اللهم تب علينا إنك أَنت التواب الرحيم ، وجد علينا إنك أَنت الجوّاد الكريم ، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين ، الأَحياءِ منهم والميتين ، برحمتك يا أَرحم الراحمين .

وصلى الله على محمد وآله وصحبه أَجمعين .

الفصل الرابع عشر

فى أنه لايتم التقرب إلى الله بترك الشهوات إلا بترك المحرمات

الحمد لله علام الغيوب ، « غافر الذنب وقابل التوب » ممن يتوب .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، شهادة تمحى بها ظلمات الذنوب .

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الشجعان فى الحروب ، وسلم تسليما .

اعلموا رحمكم الله أنه لايتم التقرب إلى الله إلا بترك المحرمات ، كما فى صحيح البخارى عن النبى صلى الله وعليه وسلم قال : (مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزور وَالْعَمَلَ بِهِ فَلَيْسَ للهِ حَاجَةٌ فِى أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ) .

وفى الحديث الآخر (لَيْسَ الصِّيَامُ عَنْ الطَّعَام وَالشَّرَابِ ، إنَّمَا الصِّيَامُ عَنْ اللَّغْوِ وَالرَّفَثِ) (١)

(١) ونص الحديث ، كما رواه الإمام أحمد ، والبخارى ، ومسلم ، والترمذى وابن ماجه : « ليس الصيام من الأكل والشرب ، وإنما الصيام من اللغو والرفث ، فإن سابّك أحد أو جهل عليك فقل : إنى صائم ، إنى صائم » .

قال المديني : هذا على شرط مسلم .

قال بعض السلف : أَهون الصيام ترك الشراب والطعام ، ولله در القائل :

إِذَا لَمْ يَكُنْ فِى السَّمْعِ مِنِّى تَصَاوُنٌ
وَفِى بَصَرِى غَضٌّ وَفِى مَنْطِقِى صَمْتُ
فَحَظِّى إِذاً مِنْ صَوْمِىَ الْجُوعُ وَالظَّمَا
فَإِنْ قُلْتُ إِنِّى صُمْتُ يَوْمِى فَمَا صُمْتُ

وقال النبي : صلى الله عليه وسلم :

« رُبَّ صَائِمٍ حَظُّهُ مِنْ صَوْمِهِ الْجُوعُ وَالعَطَشُ ، وَرُبَّ قَائِم حَظُّهُ مِنْ قِيَامِهِ السَّهَرُ » . (١)

فمن ترك المباحات تقرباً ، وارتكب المحرمات ، كان بمثابة من يترك الفرائض ويتقرب بالنوافل ، وإن كان مجزياً عند الجمهور ، بحيث لايؤمر بالإعادة ، لأَن العمل إنما يبطل بترك ما نهى عنه لخصوصه ، دون ارتكاب ما نهى عنه لغير معنى يختص به ، هذا هو أَصل جمهور العلماء .

---

(١) ولفظ ابن ماجه — فيما رواه عن أبي هريرة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « رب صائم ليس له من صيامه إلا الجوع ، ورب قائم ليس له من قيامه إلا السهر » .

وفى مسند الإمام أحمد «أَنَّ امْرأَتَيْن صَامَتَافِى عَهْدِالنَّبِىِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَادَتَا أَنْ تَمُوتَا مِنَ الْعَطَشِ ، فَذُكِرَ ذَلِكَ لِلنَّبِىِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَعْرَضَ ، ثُمَّ ذُكِرَتَا لَهُ فَدَعَاهُمَا وَأَمَرَهُمَا أَن يَقِيئَا ، فَقَاءَتَا مِلْءَ قَدَح قَيْحًا وَدَمًا : صَدِيداً وَلَحماً عَبِيطاً ، فَقَالَ النَّبِىُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ؛ إِنَّ هَاتَيْن صَامَتَا عَمَّا أَحَلَّ اللهُ لَهُمَا وَأَفْطَرتَا عَلَى مَا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِمَا : جَلَسَتْ إِحْدَاهُمَا إِلَى الْأُخْرَى فَجَعَلَتَا تَأْكُلَانِ لُحُومَ النَّاسِ » .

عباد الله : ما هذه الغفلة وإلى البلى المصير ، وما هذا التوانى والعمر قصير ، وإلى متى التمادى فى البطالة والتقصير ، وما هذا الكسل (١) وقد أنذر النذير ، خلّفكم والله عن باب الحبيب سوء التدبير ، فإلى متى التبهرج والناقد بصير ، تذكروا القيامة فالأَمر شديد ، وبادروا بقية أعماركم فالندم بعد الموت لايفيد ، وأَحْضِرُو قلوبكم لفهم الوعد والوعيد ، وحاسبوانفوسكم فعليكم رقيب عتيد ، وتأهبوا للموت فكأنكم به وقد

---

(١) وقد تعوذ منه النبي صلى الله عليه وسلم فقال : «اللهم إنى أعوذ بك من والكسل» إلى آخر الدعاء وسيأتى فى هامش ص ٧٥ بتمامه .

أَخذ الأَحرارَ والعبيد ، (وجاءَت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد) (١) .

اللهم إنا نسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل ، ونعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول وعمل ، واغفر اللهم لنا ولوالدينا وجميع المسلمين ، برحمتك يا أرحم الراحمين .

وصلى الله على محمد وآله وصحبه أَجمعين .

---

(١) سورة ق ، الآية : ٢٠

الفصل الخامس عشر

فى أن المؤمن يقدم رضى ربه على نيل شهواته

الحمد لله الذى خلق الإنسان من طين ، وكتب سعادته وشقاوته ورزقه وأجله وهو فى قرار مكين .

وأشهد أن لا إله إلا الله الخالق المنشئ ، المميت المحيي ، تبارك الله أحسن الخالقين .

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الناصح الأمين ، صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه وأنصاره وأزواجه أمهات المؤمنين ، وسلم تسليما .

اعلموا رحمكم الله أن المؤمن الصائم لَمَّا علم أن رضى مولاه فى ترك شهواته ، قدّم رضى مولاه على هواه (١) فصارت لذته فى ترك شهواته ، لإيمانه باطلاع الله عليه وأن ثوابه وعقابه أعظم من لذته فى تناولها فى الخلوة : إيثاراً لرضى ربه على هوى نفسه ، ولهذا كثير من المؤمنين لو ضرب على أن يفطر فى شهر رمضان لغير عذر لم يفعله لعلمه كراهة الله لفطره فى هذا الشهر .

---

(١) قال صلى الله عليه وسلم « لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به » .

ولهذا جعل النبي صلى الله عليه وسلم من علامات وجود الإيمان أن يكره أن يرجع إلى الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف فى النار (١) .

عباد الله : أين أحبابكم الذين سلفوا ؟ ، أين أترابكم الذين رحلوا ، وتوفوا ؟ ، أين أرباب الأموال وما خلفوا؟ ، ندموا على التفريط ، فيا ليتهم عرفوا هول مقام يشيب فيه الوليد ! ؟ .

واعجباً ، كيف دُعيت إلى الله وتوانيت ؟ وكلما دعتك المواعظ إلى الله أبيت وتماديت ،، وكم نهاك مولاك عن غيك فما انتهيت ، يا من جسده حى وقلبه ميت ؟ ، ستعاين عند الحسرات والسكرات ما لم يكن يخطر ببالك ولا دريت .

عباد الله : هذا شهر رمضان قد عزم على الانصراف والانصرام ، ونوى النقلة عنكم والرحيل بعد المقام ،

---

(١) عن أنس رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

« ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان :

أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله ، وأن يكره أن يعود فى الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف فى النار » .   [متفق عليه]

وهو شاهد لكم أَو عليكم بما أَودعتموه من الأَعمال عند الملك العلام ، طالما عمرت به القلوب ، ودرست به معالم الذنوب والآثام ، وقد كان لكم نعم الضيف ، فهل أَضعتم حقه أَو قمتم بما يجب له من الإكرام ؟ فلعل المسوّف فيه بالتوبة لايدركه بعد هذا العام ،، فيندم حين لاينفع الندم ، ويتأَسف على تفريطه إذا زلت به فى القيامة القدم ، فاستدركوا فيه ماقد مضى ، فإنما الدنيا كمثل المنام ، فالسعيد من بادر هذه البقية بالاغتنام ، والشقى من جعل هذه البقية بغفلته كالأعدام ،

وفقنا الله وإياكم لصالح الأَعمال ، وجنبنا وإياكم سيئات الأَعمال .

واغفر اللهم لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين ، الأَحياء منهم والميتين ، برحمتك يا أَرحم الراحمين .

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

الفصل السادس عشر

فى فضل الجود فى رمضان

الحمد لله الكريم المنان ، يغفر لمن يشاء بفضله ، ويعذب من يشاء بعدله ، لا إله إلا هو ذو الجلال والإحسان .

وأشهد أن لا إله إلا الله ، وحده لاشريك له ، شهادة تنجى قائلها من عذاب النيران .

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله نَبِىٌّ : آخر الرُسل والأنبياءِ بَعْثًا وَأَوَّلُهُمْ دخولا فى الجنان ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أولى العلم والحلم والشجاعة والعرفان ، وسلم تسليما .

فى الصحيحين عن ابن عباس رضى الله عنهما قال :

« كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَجْوَدَ النَّاسِ ، وَكَانَ أَجْوَدَ مَا يَكُونُ فِى رَمَضَانَ ، حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ فَيُدَارِسُهُ الْقُرْآنَ ، فَكَانَ جِبْرِيلُ يَلْقَاهُ كُلَّ لَيْلَة فَيُدَارِسهُ الْقُرْآنَ ، فَلَرَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ أَجْوَد بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيح الْمُرْسَلَةِ .

وخَرّجه الإمام أَحمد بزيادة فى آخرهِ :

« وَهُوَ لَا يُسْأَلُ عَنْ شَيْءٍ إِلَّا أَعْطَاهُ » .

والجود هو سعة العطاء وكثرته ، والله سبحانه يوصف بالجود .

وفى الأَثر المشهور عن الفضيل بن عياض : إِنَّ اللهَ يَقُولُ كُلَّ لَيْلَةٍ أَنَا الْجوَّادُ وَمِنِّى الْجُودُ ، وَأَنَا الْكَرِيمُ وَمِنِّى الْكَرَمُ » .

فالله سبحانه أَجود الأَجودين ، وجوده يتضاعف فى أَوقات خاصة كشهر رمضان ، وفيه أنزل قوله :

« وإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ (١) » .

وفى الحديث الذى خرجه الترمذى وغيره فى فضل شهر رمضان ، وفيه إِنَّهُ .

« يُنَادِى مُنَادٍ : يَا بَاغِىَ الْخَيْرِ هَلُمَّ ، وَيَا بَاغِىَ الشَّرِّ أَقْصِرْ » .

---

(١) سورة البقرة ، الآية : ١٨٦ .

ولله عتقاء من النار ، وذاك فى كل ليلة .

وخرج ابن عدى من حديث أَنس رضى الله عنه مرفوعاً (أَلاَأُخبِرُكُمْ بِالأَجْوَدِ الْأَجْوَدِ ؟ :اللهُ الأَجْوَدُ ، وَأَنَا أَجْوَدُ بَنِى آدَمَ ، وأَجْوَدُهُمْ مِنْ بَعْدِى رَجُلٌ عَلِمَ عِلْمًا فَنَشَر عِلْمَهُ (١) : يُبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أُمَّةً وَحْدَهُ ،وَرَجُلٌ جَادَ بِنَفْسِهِ فِى سَبِيل اللهِ (٢) .

وفى الصحيحين عن أَنس قال :

(كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحْسَنَ النَّاسِ ، وَأَجْوَدَ النَّاسِ .

وفى صحيح مسلم :

---

(١) وقد استعاذ رسول الله صلى الله عليه وسلم من علم لا ينفع صاحبه : فقال : « **اللهم** إنى أعوذ بك من علم لاينفع ،وقلب لا يخشع ، ودعاء لا يسمع ، ونفس لا تشبع ، ومن الجوع ، فإنه بئس الضجيع ، ومن الخيانة ،فإنها بئست البطانة ، ومن الكسل ، والبخل، والجبن ، **ومن** الهرم وأن أرد إلى أرذل العمر ، ومن فتنة الدجال وعذاب القبر ، ومن فتنة المحيا والممات .

اللهم إنا نسألك قلوباً أواهة مخبتة منيبة فى سبيلك .

اللهم إنا نسألك عزائم مغفرتك ، ومنجيات أمرك ، والسلامة من كل إثم ، والغنيمة من كل بر ، والفوز بالجنة ، والنجاة من النار » .

رواه الحاكم عن ابن مسعود

(٢) ورواه أبو يعلى مع اختلاف بسيط فى اللفظ ،وفى آخره «حتى يقتل».

(مَا سُئِلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَىٰ الْإِسْلَام شَيْئًا إِلَّا أَعْطَاهُ ، فَجَاءَهُ رَجُلٌ فَأَعْطَاهُ غَنَمًا بَيْنَ جَبَلَيْن فَرَجَعَ إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ : يَا قَوْمِ أَسْلِمُوا فَإِنَّ مُحَمَّدًا يُعْطِى عَطَاءَ مَنْ لَا يَخْشَى الْفَاقَةَ .

عباد الله : احذروا أن تصبحوا عن طريق الهدى حائدين ، وتعاهدوا على التوبة فتضحوا غادرين ، وقوموا إلى خلاص أنفسكم مبادرين ، ولازموا خدمة مولاكم فى هذا الشهر المبارك حامدين له شاكرين ، واحذروا أن تكونوا عن ربح المتقين خاسرين ، فكأنى بكم وقد أقبل إليكم الموت فأخذكم وأنتم على التفريط مقيمين ، حق على من يكون الموت مورده ، وظلمة القبر بعد الموت ملحده ، أن لا يُرَى قط إلا خائفاً وجلًا ،

اللهم يا من عم البرية جوده وإنعامه ، تفضل علينا بعفوك وجودك وغفرانك ، واغفر لنا ولوالدينا وجميع المسلمين ، الأحياءِ منهم والميتين ، برحمتك يا أرحم الراحمين .

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين .

الفصل السابع عشر

فى جوده صلى الله عليه وسلم

الحمد لله الذى فطر الأرض والسموات ، الكريم الذى يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات .

وأشهد أن لا إله إلا الله ، وحده لاشريك له ، الذى خص أحبابه بالكرامات .

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صاحب الآيات الباهرات ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وذريته وأزواجه الطاهرات ، وسلم تسليما .

كان جوده صلى الله عليه وسلم كله لله وابتغاء مرضاته ، فإنه كان يبذل المال لكل محتاج وينفق فى سبيل الله أو يتألف به على الإسلام ، وكان يؤثر على نفسه (١) وأهله وأولاده ، فيعطى عطاء تعجز عنه الملوك ، مثل كسرى وقيصر ، ويعيش فى نفسه عيش الفقراء ، فيأتى

(١) لقوله : « تعالى ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة » ، الآية : ٩ من سورة الحشر .

عليه الشهر والشهران لا يوقد فى بيته نار ، وربما ربط على بطنه الحجر من الجوع) (١) .

وكان جوده صلى الله عليه وسلم يتضاعف فى شهر رمضان على غيره من الشهور ، كما أَن جود ربه يتضاعف فيه ، فإِن الله قد جبله على ما يحبه من الأَخلاق الكريمة ، وكان على ذلك قبل البعثة ، ثم كان بعد الرسالة : جوده فى رمضان أَضعاف ما كان قبل ذلك .

عباد الله : هذا شهر رمضان قد انتصف ، فمن منكم من (٢) حاسب فيه نفسه وانتصف .

من منكم قام فى هذا الشهر بحقه الذى عرف ؟

من منكم عزم قبل غلق أَبواب الجنة أَن يُبْنَى له فيها غرف من فوقها غرف ؟ أَلا إِن شهركم قد أَخذ فى النقص ، فزيدوا أَنتم فى العمل ، فكأَنكم به وقد انصرف ، فكل شهر عسى أَن يكون منه خلف ، وأَما شهر رمضان فمن أَين يكون لكم منه الخلف ! ؟ :

(١) ومع هذا كان صلى الله عليه وسلم يتعوذ من الجوع ، وقد سبق الحديث فى هامش ص ٧٥ .

(٢) « من » الأولى استفهامية ، والثانية بمعنى « الذى » .

تَنَصَّفَ الشَّهْرُ والَهفَاهُ وَانْصَرَمَا
وَاخْتُصَّ بِالْفَوْزِ بِالْجَنَّاتِ مَنَ خَدَمَا

وَأَصْبَحَ الْغَافِلُ الْمِسْكِينُ مُنْكَسِراً
مِثْلِى فَيَا وَيْحَهُ يَا عُظْمَ مَا حُرِمَا

مَنْ فَاتَه الزَّرْعُ فِى وَقْتِ الْبِذَارِ فَمَا
تُرَاهُ يَحْصُدُ إِلَّا الْهَمَّ وَالنَّدَمَا

طُوبَىٰ لِمَنْ كَانَتْ التَّقْوَىٰ بِضَاعَتَهُ
فِى شَهْرِهِ وَبِحَبْلِ اللهِ مُعْتَصِما

عباد الله : رحل الأَحباب إلى القبور وسترحلون ، وتركوا الأموال والأوطان وستتركون ، وتجرعوا كأس الفراق وستتجرعون ، وقدِمُوا إلى ما قَدَّموا وستقْدَمون ، وندموا على التفريط فى الأَعمال وستندمون ، ووقفوا ببصائرهم على الأَهوال وستقفون ، وسئلوا عما عملوا وستُسأَلون ، ويود أَحدهم لو يفتدى بالمال وستودون ، فبادروا بالمتاب قبل يوم الحساب وخيبة الظنون ، فكيف بك ياابن آدم إذا نفخ فى الصور ، وبعثر ما فى القبور ، وحُصِّل ما فى الصدور ، وضاقت الأُمور ، وظهر المستور ، وخرج الخلائق من القبور ، فإذا هم قيام

ينظرون ؟ فيا له من يوم عظيم فيه الزلزال ، وسيرت الجبال ، وترادفت الأَهوال ، وانقطعت الآمال ، وقلَّ الاحتيال ، وخسر أَصحاب الشمال ، وخرجوا من القبور ، بنفخة الصور يرجفون ، فإذا هم قيام ينظرون .

اللهم آنسنا إذا انفردنا بالأَلْحادِ (١) ، وحضرنا فى الموقف يوم الميعاد ، ولاتبعدنا عن جنابك يا رؤوفا بالعبـــاد .

واغفر اللهم لنا ولوالدينا وجميع المسلمين ، الأَحياءِ منهم والميتين ، برحمتك يا أَرْحم الراحمين .

وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين .

---

(١) جمع لحد ، وهو القبر .

الفصل الثامن عشر

فى استحباب دراسة القرآن فى شهر رمضان

الحمد لله الذى خص أولياءه بالكرامة ، وجعلهم خلفاء نبيه المبعوث بالرحمة والاستقامة .

وأشهد أَن لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، شهادة تنجى قائلها يوم الحسرة والندامة .

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله : الشفيع المشفَّع فى عرصات القيامة ، صلَّى الله عليه وعلى آله وأَصحابه الذين فازوا بالسيف والسلامة ، وسلم تسليما .

اعلموا رحمكم الله أَنه يستحب دراسة كلام الله فى كل زمان ، ويتأكد فى رمضان ، لاسيما فى ليله .

وفى حديث ابن عباس (١) : إِنَّ الدّرَاسَةَ بَيْنَ رَسُول

(١) ابن عباس هو : عبد الله بن عباس بن عبد المطلب ، ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم : صحابى مشهور من أجلّ الصحابة وأعلمهم ، سماه الرسول صلى الله عليه وسلم : « ترجمان القرآن » لعلمه بكتاب الله وأحكامه .

اللهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبَيْنَ جِبْرِيلَ كَانَتْ لَيْلًا (١) فدل على استحباب الإكثار من التلاوة فى رمضان فى الليل ، فإن الليل تنقطع فيه الشواغل ، وتجتمع فيه الهمم ، ويجتمع فيه القلب واللسان على التدبر ، وشهر رمضان له خصوصية القرآن كما قال تعالى :

(شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِى أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ) .

قال ابن عباس : « نَزَلَ جُمْلَةً وَاحِدَةً مِنْ اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ إِلَىٰ بَيْتِ الْعِزَّةِ فِى لَيْلَةِ الْقَدْرِ » .

وقد روى أن النبى صلى الله عليه وسلم « بُدىء بالوحى ونزل عليه القرآن فى شهر رمضان » .

وقد كان السلف يتلون القرآن فى كل شهر رمضان فى الصلاة وغيرها .

كان الأسود يقرأ القرآن فى كل ليلتين ، وفى بقية الشهر كل ليلة .

---

(١) عن عبد الله بن عباس قال :

« كان النبى صلى الله عليه وسلم أجود الناس بالخير ، وأجود ما يكون فى شهر رمضان ، لأن جبريل كان يلقاه فى كل ليلة فى شهر رمضان يعرض عليه القرآن حتى ينسلخ : يعرض عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، القرآن ، فإذا لقيه جبريل كان أجود بالخير من الريح المرسلة » .

وكان للشافعى رحمه الله فى رمضان ستون ختمة يقرؤها فى غير صلاة ، وكان عادة فى غير رمضان يختم فى كل ثلاث ليال ، وفى العشر الأواخر يختم كل ليلة فى الصلاة .

وكان الزهرى يقول : إذا دخل رمضان فإنما هو تلاوة القرآن وإطعام الطعام .

قال كعب الأحبار : ينادى يوم القيامة منادأنّ كل حارث يعطى حرثه ، ويزداد ، غير أهل القرآن والصيام ، فإنهم يعطون أجرهم بغير حساب .

وقد ورد فى الأثر : إن القرآن والصيام يشفعان للعبد يوم القيامة ، يقول الصيام أىْ رب منعته الطعام والشهوات بالنهار ، ويقول القرآن منعته النوم بالليل فشفعنى فيه .

فالصيام يشفع لمن منعه الطعام والشهوات المحرمة كلها ، سواء كان تحريمه يختص بالطعام والشراب والنكاح ، أو لايختص به ، كشهوة قول الكلام المحرم ، والنظر المحرم ، والسماع المحرم ، والكسب المحرم ، فإذا منعه الصيام من هذه المحرمات كلها ، فإنه يشفع

له عند الله ، يقول : يارب منعته شهواته فشفعنى فيه ، فهذا لمن حفظ صيامه ومنعه من شهوته ، فأما من ضيع صيامه ولم يمنعه مما حرم الله عليه فإنه جدير أن يضرب به وجه صاحبه ، ويقول ضيعك الله كما ضيعتنى ، كما ورد مثل ذلك فى الصلاة .

عباد الله : هذا شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن ، وفى بقيته للعابدين مستمتع ، وهذا كتاب الله يتلى بين أظهركم ويسمع ، وهو لو أُنزل على جبل لرأيته خاشعاً يتصدع (١) ، ومع هذا فلا قلب يخشع ، ولاعين تدمع ، ولا صيام يصان عن الحرام فينفع ، ولا قيام استقام فيرجى لصاحبه أن يشفع ، قلوب خلت من التقوى ، فهى خراب بلقع ، وتراكمت عليها الذنوب فهى لاتبصر ولا تسمع ، أين نحن من قوم إذا سمعوا داعى الله أجابوا الدعوة ؟ وإذا تليت عليهم آيات الله وجلت قلوبهم وجلتها جلوة ، وإذا صاموا صامت منهم الأسماع والأبصار ، فما لنا فيهم أُسوة ؟ .

---

(١) أقرأ أواخر سورة الحشر ، الآية : ٢١ .

اللهم رحمتك نرجو ، فلا تكلنا إلى أَنفسنا طرفة عين ، وأَصلح لنا شأننا كله ، لا إله إلا أَنت ، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين ، برحمتك يا أَرحم الراحمين .

وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين .

الفصل التاسع عشر

فى أن القرآن يشفع لمن حفظه وقام بحقه

الحمد لله الذى اختص من مخلوقاته الإنسان ، ودفع عنه بكرمه الخطأ والنسيان (١) .

وأشهد أن لا إله إلا الله القديم المحمود بكل لسان ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المؤيد بمعجزات القرآن ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وذريته ذوى الولاية والإحسان ، وسلم تسليما .

روى الإمام أحمد عن برمية مرفوعاً . (إِنَّ الْقُرْآنَ يَلْقَىٰ صَاحِبَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِينَ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ كالرَّجُلِ الشَّاحِبِ ، فَيقُولُ لَهُ : هَلْ تعرفنى ؟ أَنَا صَاحِبُكَ الَّذِى أَظْمَأْتُكَ فِى الْهَوَاجِرِ ، وأَسْهرتُ لَيْلَكَ ، وَكُلُّ تَاجِرٍ مِنْ وَرَاءِ تِجَارَتِهِ ، فَيُعْطَىٰ الْمُلْكَ بِيَمِينِهِ ، وَالْخُلْدَ بِشِمَالِهِ ، وَيُوضَعُ عَلَىٰ رَأْسِهِ تَاجُ الْوَقَارِ ، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ : اقْرَأْ وَاصْعَدْ فِى دَرَجِ الْجَنَّةِ ، وَغُرَفِهَا ، فَهُوَ فِى صُعُودٍ مَا دَامَ يَقْرَأُ : هَذًّا أَوْ تَرْتِيلًا) .

---

(١) روى الطبرانى — عن ثوبان رضى الله عنه — « رفع عن أمتى الخطأ والنسيان ، وما استكرهوا عليه » .

وفى حديث عبادة ابن الصامت (إِنَّ الْقُرْآنَ يَأْتِى صَاحِبَهُ فِى الْقَبْرِ فَيَقُولُ لَهُ : أَنَا الَّذِى كُنْتُ أَسْهَرْتُ لَيْلَكَ وَاظْمَأْتُ نَهَارَكَ ، وَمَنَعْتُكَ مِنْ شَهوَاتِكَ ، وَسَمْعكَ وَبَصَركَ ، فَستَجِدُنِى مِنَ الْأَخِلَّاءِ خَلِيلَ صِدْقٍ ، ثُمَّ يَصْعَدُ فَيَسْأَلُ لَهُ فِرَاشاً مِنَ الْجَنَّةِ وَدَارًا ، فَيُؤْمَرُ لَهُ بِفِرَاش مِنَ الْجَنَّةِ ، وَقَنْدِيل مِنَ الْجَنَّةِ ، وَيَاسمِينَ مِنَ الْجَنَّةِ ، ثُمَّ يَدْفَعُ الْقُرْآنُ فِى قِبْلَةِ الْقَبْرِ فَيُوسَّعُ عَلَيْهِ مَا شَاء اللهُ مِنْ ذَلِك » .

مَنَعَ الْقُرْآنُ بِوَعْدِهِ وَوَعِيدِهِ
مُقَلَ الْعُيُونِ بِلَيْلِهَا : لَاتَهْجَعُ

فَهِمُوا مِنْ الْمَلِكِ الْجَلِيل كَلَامَهُ
فَهْمًا تَذِلُّ لَهُ الرِّقَابُ وَتَخْشَعُ

قال ابن مسعود رضى الله عنه « ينبغى لقارىء القرآن أن يعرف بليله إِذِ الناس نائمون ، وبنهاره إِذِ الناس يفطرون ، وببكائه إِذِ الناس يضحكون ، وبورعه إِذِ الناس يخلطون ، وبصمته إِذِ الناس يخوضون ،وبخشوعه

إذِ الناس يختالون ، وبحزنه إذِ الناس يفرحون (١) .

عباد الله : أَما تعتبرون بهذه الأَحوال ؟ أَما تشفقون من نار جهنم والأَنكال ؟ أَما تحذرون سلاسلها والأَغلال ؟ فقد روى مسلم من حديث شقيق عن عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(يُؤْتَىٰ بِجَهَنَّمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ ، مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُون أَلْفَ مَلَكٍ يَجُرُّونَهَا) .

وفى حديث مسلم عن أَبى هريرة رضى الله عنه قال :

(كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ سَمِعَ وَجْبَةً فَقَالَ : أَتَدْرُونَ مَا هَذَا ؟ قُلْنَا اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، قَالَ : هَذَا حَجَرٌ رُمِيَ بِهِ فِي النَّارِ مُنْذُ سَبْعِينَ خَرِيفًا ، فَهُوَ يَهْوِي فِي النَّارِ إِلَىٰ الآنَ ، حَتَّىٰ وَصَلَ قَعْرَهَا .)

فيا عباد الله : الأَمر شديد ، والخطب جسيم ،فعليكم

---

(١) وقال الفضيل بن عياض :

« ينبغى لحامل القرآن أن لا يكون له إلىأحد حاجة ، ولا إلى الخلفاء فمن دونهم »—وقال أيضاً : حامل القرآنحامل راية الإسلام، فلاينبغى أن يلهو مع من يلهو ، ولا يسهو مع من يسهو ، ولا يلغــو مع من يلغوا ، تعظيما لحق القرآن » .

بالجد والاجتهاد فى هذا الشهر الشريف فى الأعمال الصالحة ودراسة كتاب الله والعمل فيه .

اللهم تب علينا إنك أنت التواب الرحيم ، واعف عنا بعفوك يا كريم ، واغفر لنا ولوالدينا وجميع المسلمين ، الأحياء منهم والأموات ، برحمتك ياأرحم الراحمين .

وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين .

الفصل العشرون

فى الوعيد على من أعطاه الله القرآن فنام عنه ولم يعمل به

الحمد لله اللطيف الخبير ، مجيب دعوة المضطرين ، وراحم الضعفاء والمساكين ، فسبحانه وتعالى الحكيم العليم

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له .

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، وصفيه وخليله البشير النذير ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أهل الجد والتشمير ، وسلم تسليما .

اعلموا رحمكم الله أنه ورد الوعيد الشديد على من أعطاه الله القرآن فنام عنه بالليل ، ولم يعمل به فى النهار ، كما روى الإمام أحمد (١) فى مسنده من حديث سَمُرَةَ رَضِى الله عنه ، (أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَىٰ فِى مَنَامِهِ رَجُلًا مُسْتَلْقِياً عَلَىٰ قَفَاهُ ، وَرَجُلٌ قَائِمٌ عَلَىٰ رَأْسِهِ

---

(١) لقوله صلى الله عليه وسلم : « عفى لأمتى عن الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه » .

بِيدِهِ فِهْرٌ أَوْ صَخْرَةٌ، فَيَشْدَخُ بِهَا رَأْسَهُ فَيَتَدَهْدَهُ الْحَجَرُ فَإِذَا ذَهَبَ لِيَأْخُذَهُ عَادَ رَأْسُهُ كَمَا كَانَ، فيصنع بِهِ مِثْلَ ذَلِكَ، فَسَأَلَ عَنْهُ، فَقِيلَ: هَذَا رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ الْقُرْآنَ فَنَامَ عَنْهُ بِاللَّيْلِ وَلَمْ يَعْمَلْ بِهِ فِي النَّهَارِ، فَهُوَ يُعْمَلُ بِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ). وفي حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

يُمَثَّلُ الْقُرْآنُ (١) يوم القيامة رجلا: يؤتى بالرجل قد حمله وخالف أمره، فيمثل له خصما، فيقول: يَارَبِّ حَمَّلْتَهُ إِيَّايَ فَبِئْسَ حَامِلٌ: تَعَدَّى حُدُودِي وَضَيَّعَ فَرَائِضِي، وَرَكِبَ مَعْصِيَتِي، وَتَرَكَ طَاعَتِي، فَمَا زَالَ يَقْذِفُ عَلَيْهِ بِالْحُجَجِ، فَيُقَالُ: شَأْنَكَ بِهِ، فَيَأْخُذُهُ بِيَدِهِ فَمَا يُرْسِلُهُ حَتَّى يَكُبَّهُ عَلَى مِنْخَرِهِ فِي النَّارِ.

وَيُؤْتَى بِالرَّجُلِ قَدْ حَمَلَهُ وَحَفِظَ أَمْرَهُ فَيُمَثَّلُ لَهُ خَصْمًا دُونَه، فَيَقُولُ يَارَبِّ حَمَّلْتَهُ إِيَّايَ فَخَيْرُ حَامِلٍ: حَفِظَ حُدُودِي، وَعَمِلَ بِفَرَائِضِي، وَاجْتَنَبَ مَعْصِيَتِي، وَاتَّبَعَ طَاعَتِي، فَمَا يَزَالُ يَقْذِفُ لَهُ بِالْحُجَجِ حَتَّى يُقَالُ:

(١) اللهم اجعلنا من أهل القرآن الذين هم أهلك وخاصتك كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن لله تعالى أهلين من الناس: أهل القرآن، هم أهل الله وخاصته» رواه الإمام أحمد والحاكم والنسائي وابن ماجه عن أنس.

شَأْنَكَ بِهِ ، فَيَأْخُذُ بِيَدِهِ ، فَمَا يُرْسِلُهُ حَتَّى يُلْبِسَهُ حُلَّةَ الإِسْتَبْرَقِ ، وَيَعْقِدَ عَلَيْهِ تَاجَ الْمُلْكِ ، وَيَسْقِيهِ كَأْسَ الْخَمْرِ » .

فيا من ضيع عمره فى غير الطاعة ، ويا من فرط فى شهره ، بل فى دهره وأضاعه ، يا من بضاعته التسويف والتفريط وبئست البضاعة ، يا من جعل خصمه القرآن وشهر رمضان ، كيف ترجو ممن جعلته خصمك الشفاعة ؟ ويل لمن جعل شفعاءه خصماءه ، والصور يوم القيامة ينفخ ، رُبَّ صائم حظه من صيامه الجوع والعطش ، ورب قائم حظه من قيامه التعب والسهر ، كل قيام لاينهى عن الفحشاء والمنكر لايزيد صاحبه إلا بعداً ، وكل صيام لايصان عن قول الزور والعمل به لا يورث صاحبه إلا مقتاً :

يَا نَفْسُ فَازَ الصَّالِحُونَ بِالتُّقَىٰ
وَأَبْصَرُوا الْحَقَّ وَقَلْبِى قَدْ عَمِى
يَا حُسْنَهُمْ وَاللَّيْلُ قَدْ جَنَّهُمْ
وَنُورُهُمْ يَفُوقُ نُورَ الأَنْجُمِ

تَرَنَّمُوا بِالذِّكْرِ فِى لَيْلِهِمْ
فَعَيْشُهُمْ قَدْ طَابَ بِالتَّرَنِمِ
قُلُوبُهُمُ لِلذِّكْرِ قَد تَفَرَّقَتْ
دُمُوعُهُمُ كَلُؤْلُؤ مُنْتَظِم
أَسْحَارُهُمْ بِهِمْ قَدْ أَشْرَقَتْ
وَخِلَعُ الرِّضْوَانِ خَيْرُ الْقسمِ
وَيْحَكِ يَا نَفْسُ أَلاَ تَيَقَّظِى
بِنَفْعٍ قَبْلَ أَنْ تَزِلَّ قَدَمِى !؟
مَضَى الزَّمَانُ فِى تَوَانٍ وَهَوىً
فَاسْتَدْرِكِى مَا قَدْ بَقِى وَاغْتَنِمِى

اللهم لا تجعل القرآن لنا مماحلًا (١) ، ولا الصراط زائلًا ، ولا محمداً صلى الله عليه وسلم عنا معرضاً ، واجعله لنا شافعاً مشفعاً ، وأوردنا حوضه ، واسقنا منه شربة لانظمأُ بعدها أبداً ، واغفر اللهم لنا ولوالدينا وجميع المسلمين ، الأَحياءِ منهم والميتين ، برحمتك يا أَرحم الراحمين .

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين .

---

(١) مماحلا : أى ساعياً إلى الله تعالى للشكاية وخصما مجادلا .

الفصل الحادى والعشرون

فى فضل العشر الأَواخر من رمضان

الحمد لله الذى شرفنا بخاتم النبيين ، إذْ كُنَّا خير أُمة أُخرجت للعالمين .

وأَشهد أَن لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، الْمَلِكُ الحق المبين .

وأَشهد أَن نبينا محمداً عبده ورسوله : الصادق الأَمين ، صلى الله عليه وعلى آله وأَصحابه إلى يوم الدين ، وسلم تَسليما .

اعلموا رحمكم الله أَن نبينا صلى الله عليه وسلم كان يجتهد فى العشر الأَواخر مِن رمضان ، ويخصها طلباً لليلة القدر .

فى الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها قالت : (كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَجْتَهِدُ إذَا دَخَلَ الْعَشْرُ (١) شَدَّ مِئْزَرَهُ وَأَحْيَا لَيْلَهُ وَأَيْقَظَ أَهْلَهُ) .

---

(١) وفى رواية أخرى للطبرانى عن عائشة رضى الله عنها « . . . ثم لم يأت فراشه حتى ينسلخ » .

وفى رواية لمسلم عنها قالت :

كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَجْتَهِدُ فِى الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مَا لَا يَجْتَهِدُ فِى غَيْرِهَا » .

وفى المسند من وجه آخر عنها قالت :

كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْلِطُ الْعِشْرِينَ بِصَلَاةٍ وَنَوْمٍ ، فَإِذَا كَانَ الْعَشْرُ (١) شَمَّرَ وَشَدَّ الْمِئْزَرَ » .

وقد ورد عن عائشة رضى الله عنها بلفظ (وَأَحْيَا اللَّيْلَ كُلَّهُ) .

وورد أنه صلى الله عليه وسلم كان يوقظ أهله للصلاة فى ليالى العشر دون غيرهن من الليل .

وفى حديث أبى ذر (أنه صلى الله عليه وسلم لما قام بهم ليلة ثلاث وعشرين ، وخمس وعشرين ، وسبع وعشرين ذكر أنه دعى أهله ونساءه ليلة سبع وعشرين خاصة ، وهذا يدل على أنه يتأكد إيقاظهم فى أكثر الأوتار التى يرجى فيها ليلة القدر .

---

(١) أى العشر الأواخر من رمضان .

وورد عنه صلى الله عليه وسلم أنه يخص العشر الأواخر ، ويعتكف فيها ، واعتكف نساؤه بعده .

عباد الله ، عليكم بالاجتهاد فى هذه العشر الفواضل ، لعل الله ينجيكم من النار التى لاتقوم لها الجبال الصم البواذخ (١) ، فكيف بعظامنا الدقيقة ، وجلودنا الرقيقة فنعوذ بالله منها .

وقد روى من حديث أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (إذا سِيقَ أَهْلُ النَّارِ إِلَىٰ النَّارِ فَتَلَقَّطُهُمْ بِعُنُق ، فَتَلْفَحهُمْ لَفْحَةً لَمْ تَتْرُكْ لَحْمًا عَلَىٰ عَظْمٍ إِلَّا أَبَانَتْهُ عَن الْعُرُوقِ ، وَهُمْ فِى تَوْبِيخ وَعِتَابٍ ، وَفِى سِجْنٍ وَعَذَابٍ ، وَفِى حُزْن وَعِقَاب »

كما قال تعالى فى محكم الكتاب : (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِم نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ) ، الآية .

فإنهم كانوا يفرحون بدار الغرور ، وينؤون عن النفخ فى الصور ، ويغترون بالأمانى والزور . فقال فى حقهم مِن يعدل فى الحكم ولايجور .

---

(١) البذخ : الإفراط ، ومعناه مفرطات فى العظم .

(وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ) . (١)

لهم فيها بكاء وزفير ، وعذاب وسعير :

وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ، أَوَ لَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ .

فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ (٢) .

فيا من سمع بذكر النار حتى كأنه شاهدها عياناً . ما هذا الأمل والرَّحيل قد دَنَىٰ ، يا مقبلاً على لذاته ولم يأخذ من هول الموقف أماناً ؟

اللهم اعتقنا من النار ، وسلمنا من دار الخزى والبوار ، وأدخلنا الجنة دار القرار ، واغفر لنا ولوالدينا وجميع المسلمين ، الأحياء منهم والميتين ، برحمتك يا أرحم الراحمين .

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين .

---

(١) سورة فاطر ، الآية : ٣٦ و ٣٧ .

الفصل الثانى والعشرون

فيما يخص به العشر (١) الأواخر من رمضان

الحمد لله الذى انفرد بأسمائه الحسنى ، المختص بالرحمة والجبروت والملك الأسنى ، المتفضل بالعفو والمغفرة على عباده المذنبين وأولاهم الحسنى ، ولم يؤاخذهم بوهم ولا تخييل ، فله الأسماء الحسنى .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له : الملك القدوس ، الذى وسع كل شىء رحمة وعلما .

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه الذين فازوا بقربه فى الفردوس الأعلى ، وسلم تسليما .

قد تقدم أنه صلى الله عليه وسلم إذا دخل العشر الأواخر شمر وشد المئزر ، فاختلف العلماء فى تفسيره ، فمنهم من قال : إنها كناية عن جده واجتهاده فى العبادة ، كما يقال : فلان شد وسطه وسعى فى كذا ، ومنهم من قال : المراد بذلك اعتزاله النساء ، وبذلك فسره السلف والأئمة ، منهم الثورى وغيره ، وقد ورد ذلك صريحاً

---

(١) وهى عشر العتق من النار ، وفيها ليلة القدر خير من ألف شهر .

فى حديث عائشة رضى الله عنها وأنس ، وورد تفسيره بأنه لم يأو إلى فراشه حتى ينسلخ رمضان. وفى حديث أنس :

وَطَوَىٰ فِرَاشَهُ وَاعْتَزَلَ النِّسَاءَ . (١)

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلما غالباً يعتكف العشر الأواخر ، والمعتكف ممنوع من النساءِ ،[من قربانهن بالنص والإجماع] ، ومنها الاغتسال بين العشاءَيْنِ وقد ورد ذلك فى حديث عائشة عن ابن أَبى عاصم :

كانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا دَخَلَ رَمَضَانُ قَامَ وَنَامَ ، وَإِذَا دَخَلَ الْعَشْرُ شَدَّ الْمِئْزَرَ وَاعْتَزَلَ النِّسَاءَ وَاغْتَسَلَ بَيْنَ الأَذَانَيْن .

والمراد أذان المغرب والعشاءِ .

وقال ابن جرير: كانوا يستحبون أَن يغتسلوا كل ليلة من ليالى العشر ، وكان النخعي يغتسل فى العشر كل ليلة ، ومنهم من كان يغتسل ويتطيب فى الليالى التى

---

(١) متفق عليه من حديث أم المؤمنين السيدة عائشة رضى الله عنها :
ولفظه كما ذكره الحافظ العراقى فى تخريج أحاديث الإحياء « إذا دخل العشر الأواخر أحيا الليل ، وأيقظ أهله ، وجد ، وشد المئزر » وفى لفظ آخر : « كان إذا دخل العشر الأواخر طوى الفراش وشد المئزر ، ودأب ، ودأب أهله » ﷺ يارسول الله .

تكون أرجى لليلة القدر ، فأمر ذراً بالاغتسال ليلة سبع وعشرين من رمضان .

وقال ثابت البناني :

كان لتميم الداري حلة اشتراها بألف درهم ، كان يلبسها في الليلة التي ترجى فيها ليلة القدر .

عباد الله : ما هذه الغفلة وإلى البلى المصير ؟ وماهذا التواني والعمر قصير ؟ ، وإلى متى هذا التمادي في البطالة والتقصير ؟ وما هذا الكسل وقد أنذر النذير ؟ يا معرضاً عن المولى إلى متى هذا الإعراض وقد ولى شبابك في طلب الأعراض ، أما علمت أن العمر في انقراض ؟ وقواك في كل ساعة في انتقاض ، ويحك ، تزود فالسفر بعيد :

(وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيد (١) .

فعليك بالجد والاجتهاد في هذه الساعات والأيام ، والليالي العظام ، فإنها قد آذنت بانصرام ، واجتهدوا في هذا الشهر المبارك الشريف .

---

(١) سورة ق : الآية : ١٩ .

روى الإمام أَحمد عن أَبِي هريرة رضِي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

« أُعْطِيتْ أُمتِي خَمْسَ خِصَالٍ فِي رَمَضَانَ لَمْ تُعْطَهَا أُمَّةٌ غَيْرُهُمْ :

خَلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ ، وَتَسْتَغْفِرُ لَهُمُ الْمَلَائِكَةُ حَتَّى يُفْطِرُوا ، وَيُزَيِّنُ اللهُ كُلَّ يَوْمٍ جَنَّتَهُ وَيَقُولُ : يُوشِكُ عِبَادِي أَنْ يُلْقُوا عَنْهُمُ الْمُؤْنَةَ وَالْأَذَىٰ فَيَصِيرُوا إِلَيْكِ ، وَتُصَفَّدُ فِيهِ مَرَدَةُ الشَّيَاطِين ، فَلَا يَخْلُصُونَ فِيه إِلَىٰ مَا كَانُوا يَخْلُصُونَ فِي غَيْرِهِ ، وَيُغْفَرِ لَهُمْ فِي آخِرِ لَيْلَة .

قِيلَ : يَا رَسُولَ الله أَهِيَ لَيْلَةُ الْقَدْرِ ؟

قَالَ : لَا . وَلَكِن الْعَامِلِ إِنَّمَا يُوَفَّىٰ أَجْرَهُ إِذَا قَضَى عَمَلَهُ » .

اللهم جد علينا بالعفو والإحسان ، والعتق من النيران ، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين ، الأَحياءِ منهم والميتين ، برحمتك يا أرحم الراحمين .

وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين .

الفصل الثالث والعشرون

فى أن الصيام جُنة من النار

الحمد لله المبدىء المعيد ، الفعال لما يريد ، الذى خلق الخلق فمنهم شقى وسعيد ، فهذا أسعده فقر به ، وهذا أَشقاه فهو بعيد ، أَحمده وأسأله من فضله المزيد ، وأَشكره شكراً مقروناً بالتهليل والتسبيح والتحميد ، وأَشهد أَن لا إله إلا الله الولى الحميد .

وأَشهد أَن محمداً عبده ورسوله أَفضل الرسل وأَشرف العبيد صلى الله عليه وعلى آله وأَصحابه صلاة لاتفنى ولاتبيد ، وسلم تسليما .

اعلموا رحمكم الله أَن الصيام جُنَّة من النار ، كما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :

« الصَّيَامُ جُنَّة» (١) وفى رواية « الصِّيَامُ جُنَّةٌ أَحَدِكُمْ مِنْ النَّارِ كَجُنَّةِ أَحَدِكُمْ مِنَ الْقِتَالِ(٢) .

(١) أى وقاية .

(٢) رواه الإمام أحمد والنسائى ، وابن ماجه عن عثمان ابن أبى العاص ، وفى لفط رواه الطبرانى عن أبى أمامة : « الصيام جنة ؛ وهو حصن من حصون المؤمن ، وكل عمل لصاحبه إلا الصيام . يقول الله : الصيام لى وأنا أجزى به » .

وفى تضاعف جوده صلى الله عليه وسلم فى شهر رمضان على غيره من الشهور سر بديع ، وهو أن : الجمع بين الصيام والصدقة أبلغ فى تكفير الخطايا ، واتقاءِ جهنم والمباعدة عنها ، خصوصاً إن انضم إلى ذلك قيام الليل .

وفى حديث معاذ عن النبي صلى عليه وسلم (الصَّدَقَةُ تُطْفِىءُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِىءُ الْمَاءُ النَّارَ)(١) .

وقيام الرجل فى جوف الليل يطفىءُ الخطيئة أيضاً .

وفى الحديث الصحيح أنه قال : (اتقوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ) .

كان أبو الدرداءِ يقول : صلوا فى ظلمة الليل ركعتين لظلمة القبور ، وصوموا يوماً شديداً حره لحر يوم النشور ، وتصدقوا لشر يوم عسير .

وكان كثير من يواسون من إفطارهم ، ويؤثرون به ويطوون .

كان ابن عمر يصوم ولا يفطر إلا مع المساكين ، فإذا منعهم أهله عنه لم يتعش تلك الليلة ، وكان إذا

---

(١) وفى الحديث الآخر : « صدقة السر تطفىء غضب الرب ، وصلة الرحم تزيد فى العمر ، وفعل المعروف يقى مصارع السوء »، رواه البيهقى عن أبى هريرة .

جاءه سائل وهو على طعامه أخذ نصيبه من الطعام وقام فأعطاه للسائل .

اشتهى بعض السلف طعاماً ، وكان صائماً فوضع بين يديه عند فطره ، فسمع سائلًا يقول : من يقرض الملىّ الوفى ؟ فقال : عبده المعدم من الحسنات ، فأَخذ الصحفة فخرج بها إليه وبات طاوياً .

وجاءَ سائل إلى الإمام أَحمد فدفع إليه رغيفين كان يعدهما لفطره ، ثم طوى وأَصبح صائماً .

وكان الحسن رحمه الله يطعم إخوانه وهو صَائم تطوعاً ، ويجلس يروّحهم وهم يأكلون .

عباد الله بادروا بالأَعمال الصالحة ، فبين أَيديكم أَهوال عظيمة من الموت وأَهوال القبور ، وسؤال منكر ونكير ، وأَفزاع القيامة ، والوقوف بين يدى الله تبارك وتعالى ، ثم إذا وقع السؤال ونصبت موازين الأَعمال ، وتطايرت الكتب باليمين والشمال ، ووضع الصراط على متن جهنم . [أَحَدُّ من السيف وأَدقُّ من الشعر] ، ويؤمر الناس بالجواز عليه ، فأول من يجوز عليه أُمة محمد

صلى الله عليه وسلم ، فيمرون عليه كالبرق الخاطف ، ثم كالريح ، ثم كالطير ، ثم كالخيل ، ثم عَدْواً ، ثم مَشْياً ، ثم من الناس من يزحف زحفاً ، ومن الناس من يُسْحَبُ سَحْباً ، فمنهم من يسلم ، ومنهم من يَزِلُّ فيقع فى جهنم ، ومنهم من تَخْطَفُهُ كَلَالِيبُ ، فتلقيه ويسمع للواقعين فى النار جلبة عظيمة وصياح شديد يدهش . والملائكة والأَنبياء كلهم يقولون : اللهم سلِّمْ سلِّم .

وقد قيل فى المعنى :

إِذَا مُدَّ الصِّرَاطُ عَلَىٰ جَهَنَّمْ
تَصُولُ عَلَىٰ الْعُصاةِ وَتَسْتَطِيلُ
فَقَوْمٌ فِى الْجَحِيمِ لَهُمْ ثُبُورٌ
وَقَوْمٌ فِى الْجِنَانِ لَهُمْ مَقِيل
وَبَانَ الْحَقُّ وانْكَشَفَ الْمُغَطَّىٰ
وَطَالَ الْوَيْلُ وَاتَّصَلَ الْعَوِيلُ

فيا عباد الله : انظروا إلى هذه الأهوال ، وجدوا واجتهدوا فى هذه العشر الأَواخر الفواضل ، فقد آذنت بالفراق ، وأَقْبِلُوا بقلوبكم إلى ربكم ، وقفوا لديه

بالخضوع والخشوع ، فإنه كريم ، ومدوا أنامل الرجاء . فإنه رحيم .

اللهم تب علينا لنتوب ، ووفقنا للعمل الصالح المقبول ، وعافنا واعف عنا برحمتك ، واغفر لنا ولوالدينا وجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين .

وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين .

الفصل الرابع والعشرون

فى فضل قيام ليلة القدر

الحمد لله الذى أَحكم الأُمور وقدّرها ، وقدر الأشياء ودبرها ، وأَنزل القرآن ليلة القدر وشرفها .

وأَشهد أَن لا إله إلا الله وحده لاشريك له ،شهادة ليوم القيامة أدخرها .

وأَشهد أَن محمداً عبده ورسوله ، صلى الله عليه وعلى آله وأَصحابه أولى الحلم والنهى ، وسلم تسليما .

عبادالله : اشكروا نعمة ربكم على ما خصكم به من الإنعام والإكرام ، وحبا كم من العطايا الجسام ، وشرفكم بنبي الرحمة ورسول الهدى ، فاستدركوا مواسم العمر فحادى الموت قد حدا ، واغتنموا ليلة القدر فلعلكم تكتبوا فى ديوان السعدا .

فى الصحيحين عن أَبى هريرة رضى الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَاناً وَاحْتِسَاباًغُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ» (١) ، وَمَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَاتَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ »(٢).

(١و٢) الشطر الأول من الحديث متفق عليه، ورواه الإمام أحمد، والأربعة عن أبي هريرة .و الشطر الثانى رواه البخارى والثلاثة عن أبي هريرة .

وفيها عن أَبي هريرة رضى الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أَنه قال : « مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَاباً غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ » .

وقد روى مثل ذلك من رواية عبادة بن الصامت فى قيام ليلة القدر .

وعن ابن عمر رضى الله عنه أَن رجلًا من أَصحاب النبي صلى الله عليه وسلم تهيأ لليلة القدر فى السبع الأَواخر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« أَرَىٰ رُؤْيَاكُمْ قَدْ تَوَاطَأَتْ فِى السَّبْعِ الْأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ ، فَمَنْ كَانَ مُتَحَرِّيهَا فَلْيَتَحَرَّهَا فِى السَّبْعِ الْأَوَاخِرِ » . [أخرجاه]

ولهما عن عائشة قالت :

(كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا دَخَلَ الْعَشْرُ الْأَوَاخِرُ منْ رَمَضَانَ شَدَّ مِئْزَرَهُ وأَحْيَا اللَّيْلَ كُلَّهُ وَأَيْقَظَ أَهْلَهُ) (١) .

وأَرجى ليلة ترجى فيها ليلة القدر : ليلة سبع وعشرين ،

---

(١) وقد سبق ما يعضد هذا ص ٩٩ .

فاغتنموا رحمكم الله هذه الليلة التى هى خير من أَلف شهر ، ما دعا الله فيها داع إلا أَجابه وبلغه أَملًا ومقصداً ، ولا سأَله سائل إلا أَعطاه سؤله وجاد عليه بالفضل والندى . فيا فوز من احياها ، ويا سعادة من رآها ، لقد نال فخراً وسؤدداً .

وقد جاء فى صحيح الإسناد أَنها تُلْتَمَسُ فى ليالى الأفراد (١) فاطلبوها فى هذه الأعداد تظفروا بحسن القبول ونيل المراد غدا .

فيا أَيها الضالّ عن طريق الهدى ، أَمَا تخاف عاقبة الردى ، أَما سمعت الحادى وقد حدا ؟ ، أَما آن لك أَن تسلك طريقاً رَشَدا ؟ ، أَما تغتنم ليالى القدر التى تجلى عن قلبك الصدى ؟ .

لِلَيْلَةِ الْقَدْرِ عِنْدَ اللهِ تَفْضِيلُ
وَفِى فَضَائِلِهَا قَدْ جَاءَ تَنْزِيلُ
فَجُدْ فِيهَا عَلَىٰ خَيْرٍ تَنَالُ بِهِ
أَجْرًا فَلِلْخَيْرِ عِنْدَ اللهِ تَفْضِيلُ

---

(١) روى الطبرانى عن عبادة بن الصامت أن رسول الله ﷺ ، قال : « التمسوها فى العشر الأواخر ، فإنها فى وتر » إلى آخر الحديث .

وَاحْرِصْ عَلَىٰ فِعْل أَعْمَال تُسَرُّبِهَا
يَوْمَ الْمَعَادِ وَلَا يَغْرُرْكَ تَأْمِيلُ

فَكَمْ رَأَينَا صَحِيحَ الْجِسْمِ ذَا أَمِلٍ
فِى لَيْلَةِ الْقَدْرِ لَمْ يَبْلُغْهُ تَنْوِيلُ

فَتُبْ إِلَىٰ اللهِ وَاحْذَرْ مِنْ عُقُوبَتِهِ
عَنْ كُلِّ مَا فِيهِ تَوْبِيخٌ وَتَنْكِيلُ

وَلَا تَغُرَّنَكَ الدُّنْيَا وَزُخْرُ فُهَـا
فَكُلُّ شَيءٍ سِوَىٰ التَّقْوَىٰ أَبَاطِيلُ

اللهم اجعل التقوى لنا أربح بضاعة ، ولاتجعلنا فى شهرنا من أهل التفريط والإضاعة ، وآمن خوفنا يوم تقوم الساعة ، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين ، الأحياء منهم والميتين ، برحمتك يا أرحم الراحمين .

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين .

الفصل الخامس والعشرون

في أن تكفير الذنوب بصيام رمضان مشروط بالتحفظ مما ينبغي التحفظ عنه :

الحمد لله الواحد القديم ، المنفرد بالعطاء الجزيل والفضل العميم .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، شهادة تنجي قائلها من عذاب الجحيم .

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، صلى الله عليه وعلى أصحابه ومن تبعهم بإحسان ، واقتفى هداهم القديم ، وسلم تسليما .

اعلموا رحمكم الله أن تكفير الذنوب بهذه الأعمال ، يتوقف على التحفظ مما ينبغي التحفظ عنه - كما في مسند الإمام أحمد وصحيح ابن حبان - عن أبي سعيد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

« مَنْ صَامَ رَمَضَانَ فوق حدوده ، وتحفظ مما ينبغي التحفظ منه ، كفَّر ذلك ما قبله :

وروى ابن أبى الدنيا عن أبى جعفر محمد بن على مرسلا أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

(مَنْ أَتَىٰ عَلَيْهِ رَمَضَانُ صَحِيحًا مُسْلِمًا : صَامَ نَهَارَهُ وَصَلَّىٰ وِرْدًا مِنَ لَيْلِهِ ، وَغَضَّ بَصَرَهُ ، وَحَفِظَ فَرْجَهُ وَلِسَانَهُ ، وَحَافَظَ عَلَىٰ صَلَاتِهِ فِى الْجَمَاعَةِ ، وَبَكَّرَ إِلَى جُمَعِهِ ، فَقَدْ صَامَ الشَّهْرَ ، وَاسْتَكْمَلَ الْأَجْرَ ، وأَدْرَكَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ ، وَفَازَ بِجَائِزَةِ الرَّبِّ تَبارَكَ وَتَعَالَىٰ » .

والجمهور علىٰ أن تكفير الذنوب إنما هو تكفير الصغائر دون الكبائر ، لأن الكبائر لاتكفر إلا بالتوبة النصوح ، ويدل على ذلك ماخرّجه مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال :

(الصَّلَواتُ الْخَمْسُ ، وَالْجُمُعَةُ إِلَىٰ الْجُمُعَةِ ، وَرَمَضَانُ إِلَىٰ رَمَضَانَ ، مُكَفِّرَاتٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ مَا اجْتُنِبَتِ الْكَبَائِرُ) .

فمن لم يجتنب الكبائر لم تكفر له هذه الأعمال .

وأما صيام رمضان وقيامه فيتوقف التكفير بهما على تمام الشهر ، فإذا تَمَّ الشهر فقد كمل للمؤمن صيام

رمضان وقيامه ، ويدل على ذلك ما رواه الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

(أُعْطِيتْ أُمَّتِي خَمْسَ خِصَالٍ فِي رَمَضَانَ لَمْ تُعْطَهَا أُمَّةٌ غَيْرُهَا : خَلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ ، وَتَسْتَغْفِرُ لَهُمُ الْمَلَائِكَةُ حَتَّى يُفْطِرُوا ، وَيُزَيِّنُ اللهُ كُلَّ يَوْمٍ جَنَّتَهُ وَيَقُولُ : يُوشِكُ عِبَادِي أَنْ تُلْقَى عَنْهُمُ الْمُؤْنَةُ وَالْأَذَى وَيَصِيرُوا إِلَيْكِ ، وَتُصَفَّدُ فِيهِ مَرَدَةُ الشَّيَاطِينِ فَلَا يَخْلُصُونَ فيهِ إِلَى مَا كَانُوا يَخْلُصُونَ إِلَيْهِ فِي غَيْرِهِ ، وَيُغْفَرُ لَهُمْ فِي آخِرِ لَيْلَةٍ . قِيلَ يَا رَسُولَ اللهِ : أَهِيَ لَيْلَةُ الْقَدْرِ ؟ قَالَ : لَا ، وَلَكِن الْعَامِلَ إِنَّمَا يُوَفَّى عَمَلَهُ إِذَا قَضَى عَمَلَهُ » .

عباد الله : كيف لايُبكى على فراق شهر رمضان ؟ كيف لايُتأسف على شهر العفو والغفران ؟ كيف لايُحزن على شهر العتق من النيران ؟ ، فارغبوا فيما عند الله عزوجل من الأجر والثواب ، وودعوا شهر رمضان ، فقد عزم على الذهاب ، وبادروا بالأعمال الصالحة قبل غلق الأبواب ، فهذا شهر رمضان قد أزف رحيله ، وحان

تحويله ، ولم يبق إلا قليله ، فاكثروا فيه من العمل الصالح ، وشيعوه بالبكاء والأَسف وودعوه .

اللهم اجبر قلوبنا بفراق شهرنا بالغفران والعفو والعتق من النيران ، وأَدخلنا برحمتك الجنة منزل الرضوان ، واغفر اللهم لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين ، الأَحياء منهم والميتين ، برحمتك ياأرحم الراحمين .

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين .

الفصل الثامن والعشرون

فى الاجتهاد فى إكمال العمل وإتمامه

الحمد لله القادر القهار ، الواحد الأَحد ، الفرد الصمد الملك الجبار .

وأَشهد أَن لا إِله إلا الله الواحد فى ذاته وصفاته وأفعاله ، ذو الاقتدار .

وأَشهد أَن نبينا محمداً عبده ورسوله الذى رفع الله عن أُمته الأغلال والآصار ، وعلى آله وأَصحابه أَقطاب الأَقطار ، وسلم تسليما .

اعلموا رحمكم الله أَن السلف يهتمون لقبول العمل أَشد اهتماماً من العمل ، كما روى عن على رضى الله عنه أَنه قال : كونوا لقبول العمل أَشد اهتماماً منكم بالعمل ، أَلم تسمعوا الله يقول : (إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ) . وهذا حال السلف الصالح ، يجتهدون فى إتمام العمل وإِكماله وإِتقانه ، ثم يهتمون بعد ذلك بقبوله ،ويخافون من رده ، وهؤلاء (الَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ)

وعن فَضالة بنِ عبيد قال : لأَن أَكون أَعلم أَن الله يتقبل منى مثقال حبة من خردل أَحب إلىّ من الدنيا وما فيها ، لأَن الله يقول : (إِنَّما يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ).

وقال مالك بن دينار : الخوف على العمل أَنه لا يتقبل أَشد من العمل .

وقال عبد العزيز بن أَبى رواد : أَدركتهم يجتهدون فى العمل الصالح ، فإِذا فعلوه وقع عليهم الهم : أَيقبل منهم أَم لا .

قال بعض السلف : كانوا يدعون الله ستة أَشهر أَن يبلغهم رمضان ، ثم يدعون الله ستة أَشهر أَن يتقبله منهم .

رأى وهيب بن الوردى قوماً يضحكون يوم عيد ، فقال : إن كان هؤلاء تقبل منهم صيامهم فما هذا فعل الشاكرين ، وإِن كان لم يتقبل منهم صيامهم فما هذا فعل الخائفين .

وعن الحسن قال : جعل الله شهر رمضان لخلقه يَسْتَبِقُونَ فيه بطاعته إلى مرضاته ، فسبق قوم ففازوا ، وتخلف آخرون فخابوا .

وروى عنه رضى الله عنه أنه كان ينادى فى آخر ليلة من شهر رمضان : يا ليت شعرى مَنْ هذا المقبول فنهنيه ؟ ومن المحروم فنعزيه ؟

وروى عن أبى مسعود رضى الله عنه أنه كان يقول : مَنْ هذا المقبول منا فنهنيه؟ ومن هذا المحروم فنعزيه؟ أيها المقبول هنيئاً لك ، أيها المطرود جبر الله مصيبتك .

عباد الله : هذا شهر رمضان قد عزم على الانصرام ، ونوى النُّقْلَةَ عنكم والرحيل بعد المقام ، وهو شاهد عليكم أو لكم بما أودعتموه من الأعمال عند الملك العلام ، طالما عمرت به القلوب ، ودرست به معالم الذنوب والآثام ، وقد كان لكم نعم الضيف ، فهل أضعتم حقه أو قمتم له بما يجب له من الإكرام ؟ فلعل المسوف فيه بالتوبة لا يدركه بعد هذا العام ، والمغتر بالإهمال لا تمهله المنون إلى استكمال التمام ، فيندم حين لا ينفع الندم ، ويتأسف على التفريط إذا زلت به فى القيامة القدم .

واعلموا رحمكم الله أنه يستحب الإكثار من ذكر الله تعالى ليلة العيدين والجهر به فى البيوت والأسواق والمساجد ، اقتداء بالسنة واتباعاً للسلف ، وفى ليلة الفطر آكد لقول الله تعالى :

(وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ) .

اللهم إنا تولينا شهر رمضان على تقصير منا ، وقد أدينا من حقك قليلًا من كثير ، وقد أنخنا ببابك سائلين فلا تردنا خائبين ، ولا من رحمتك آيسين ، واغفر اللهم لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين ، الأَحياءِ منهم والميتين ، برحمتك يا أَرحم الراحمين .

وصلى الله على محمد وآله وأَصحابه أَجمعين .

الخاتمة

فى فضل صوم ستة أيام من شوال والترغيب فيه

الحمد لله الذى مَنَّ علينا بإكمال صوم رمضان ، وهدانا للإسلام والإيمان ، وشرفنا بمحمد المبعوث رسولا إلى الإنس والجان .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له الملك الديّان .

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المنزل عليه القرآن ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين نصروه ، وعزروه ، ووقروه ، واتبعوه كما أمر الله به بمحكم القرآن ، وسلم تسليما .

اعلموا رحمكم الله أن من صام رمضان وأتبعه ستاً من شوال ، فكأنما صام الدهر كله ، كما فى صحيح مسلم عن أبى أيوب عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :

(مَنْ صَامَ رَمَضَانَ وَأَتْبَعَهُ سِتًا مِنْ شَوَّالٍ كَانَ كَصِيامِ الدَّهْرِ)(١) فلا تهملوا هذه الفضيلة ؛ وكذلك ورد أن « الصائم بعد رمضان كالكارِّ بعد الْفَارِّ (٢) » ، يعنى الذى

---

(١) رواه الإمام أحمد والإمام مسلم ، والأربعة عن أبى هريرة .

(٢) رواه البيهقى عن ابن عباس .

يفر من القتال فى سبيل الله ، ثم يعود عليه ، لأن كثيراً من الناس يفرح بانقضاء رمضان وخروجه لاستثقال الصيام ومله وطوله عليه ، ومن كان كذلك لايعود إلى الصيام سريعاً ، والعائد إلى الصيام بعد الفطر يدل على رغبته فى الصيام ، وأنه لم يملّه ولا تَكَرَّه به .

فسبحان من قَلَّبَ عباده فى اختلاف الأوقات بين وظائف الْخَدَم ، ليسبغ عليهم فيها فواضل النعم ، ويعاملهم بنهاية الجود والكرم ، والذى أوجدها وأبدعها وخصها بالفضائل ،وأودعها باق لايزول ، ودائم لايحول ، هو فى جميع الأوقات إلهٌ واحد ، ولأعمال عباده مشاهد .

واعلموا رحمكم الله أن أنفع الاستغفار ما قارنته التوبة ، وهى حل عقده الأحرار ، فمن استغفر بلسانه وقلبه على المعاصى معقود ، وعزمه أن يرجع إلى المعاصى بعد الشهر ويعود ، فصومه عليه مردود ، وباب القبول عنه مسدود .

قال كعب : من صام رمضان وهو يحدث نفسه أنه إذا أفطر بعد رمضان لايعصى الله دخل الجنة بغير مسألة ولاحساب ، ومن صام رمضان وهو يحدث نفسه أنه إذا أفطر عصى ربه ، فصيامه عليه مردود ،

اللهم لاتردنا خائبين ، ولا من رحمتك آيسين . واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين ، الأَحياء منهم والميتين ، برحمتك يا أَرحم الراحمين .

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه أَجمعين .

تمت وظائف رمضان

وهى تحتوى على ستة وعشرين فصلًا ، وخاتمة

فى الترغيب فى صيام ستة أَيام من شهر شوال

لمؤلفها :

الشيخ الفاضل سليمان بن عبد الرحمن العمرى

رحمه الله

ويليهـــا

عشرة مجالس فى الوعظ للعشر الأَواخر من رمضان

للمؤلف

حرر فى ١٣٧٣/١/٢٥ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

المجلس الأول

فى فضل العشر الأواخر من رمضان

الحمد لله الذى أَوضح سبيل هدايته لأَرباب ولايته وأَبهج ، وحرك أَهل عبادته إلى معاملته وأَزعج ، وأَبدع بدائع قدرته فى محكم صنعته وأَخرج ، لايخفى عليه ضمير القلب فى سواد الليل ولا طرف أَدعج ، يبصر جَرْىَ اللبن يسرى فى العروق نحو المخرج ، وينزل إلى السماءِ الدنيا فإِين الذى بالمناجاة والاستغفار يلهج ؟ ، فيستعرض الحوائج إلى أَن يلوح الفجر ويتبلج ، وورد بذلك النقل ، ومن عقل رأى الحق أَبلج .

وأَشهد بوحدانيته شهادة موقن مَّاتلجج .

وأَشهد أَن محمداً عبده ورسوله الذى محاسن الشرائع فى شريعته تدرج .

صلى الله عليه ، وعلى أَبى بكر أَول من أَنفق ماله وأَخرج ، وعلى عمر الذى اضطر كسرى إلى الهرب

وأَحوج ، وعلى عثمان المظلوم وقد عدل وما عذل ولاعَرَّج ، وعلى على مبيد الطغاة فلم يكن لهم منه مهرب ولا مخرج ، وعلى آله وأَصحابه الذين نصر الله بهم الدين وأَبهج ، وسلم تسليما .

عباد الله : إن عشركم هذه هى العشر الأَخيرة ، وفيها الخيرات والأُجور الكثيرة ، تكمل فيها الفضائل ، وتتم فيها المفاخر ، ويطلع على عباده العظيم القادر ، وينيلهم الثواب الجزيل والحظ الوافر ، فيها تزكو الأَعمال ، وتنال الآمال ، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسهر ليله ، ويقوم فيه الليل كله ، فالسعيد من أكرمه وأَجْلَّه ، والبعيد من أَهانه واستقله .

وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم تعظيم هذه العشر على باقى الشهر .

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخصها بالاعتكاف والقيام ،كما ورد ذلك عن عائشة رضى الله عنها ، قالت :

(كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا دَخَلَ الْعَشْرُ شَدَّ مِئْزَرَهُ ، وأَحيا ليلهُ وأَيقظ أَهله .

وورد عنه صلى الله عليه وسلم أَنه كان إِذا دخل العشر طوى فراشَهُ واعتزل نساءَهُ .

وكان يخصها بالاعتكاف والاغتسال كل ليلة بين العشائين ، والتنظف والتطيب ، وإِحياء الليل .

فبادروا عباد الله بالتوبة والاستغفار والابتهال إِلى ذى الجلال والإِفضال ، واغسلوا بالدموع درن الذنوب ، قبل أن تفضحوا بالعيوب ، وإِنَّ امرءًا تنقضى بالجهل ساعاته ، وتذهب فى المعاصى أَوقاته ، لخليق أَن تجرى دماً دموعه ، وحقيق أَن يقل فى الدجى هجوعه .

وقد ورد عنه صلى الله عليه وسلم أَنه قال :

« يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ إِلَىٰ السَّمَاءِ الدُّنْيَا فِى ثُلُثِ اللَّيْلِ الأَخِيرِ ، وَذَلِكَ كُلَّ لَيْلَةٍ ، فيقول : هَلْ مِنْ تَائِب فَأَتُوبَ عَلَيْهِ ؟ هَلْ مِنْ سَائِل فَأُعْطِيَهُ ؟ هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِر فَأَغْفِرَ لَهُ » .

فبادروا رَحِمَكُم الله بالتوبة النصوح قبل انقضاء العمر ، وهجوم الأَجل ، وصونوا صيامكم وقيامكم عن عن ارتكاب اللغو والآثام ، واعلموا — رحمكم الله —

أَن هذه العشر قد أَوجب الله عليكم تعظيمها واحترامها ، وأَجزل الثواب لمن أَحيا لياليها وقامها ، فانتبهوا رحمكم الله ، واهجروا لذيذ المنام ، واحذروا من الغفلة فى هذه الليالى والأَيام ، وخذوا قدر البلغة من الطعام ، هذه عَشْرُ مَحْوِ الذنوب ، هذه عشرُ حَياة القلوب ، هذا وقت تلاوة الكتاب ، هذا وقت عمارة المحراب ، هذه عشر فيها تُكَفُّ النفوس ، كأَنها فى حُبوس ، وتُظْمَأُ عن الكؤوس ، وتطرق من الخشية الرؤوس عن النظر إلى الحرام ، عشر تحلى فيها المساجد ، ويخشع فيه الراكع والساجد ، وينهض للخيرات كل قاعد ، ويصير الراغب كالزاهد من قلة الطعام ، عشر التعبد والتراويح ، عشر السهر والمصابيح ، عشر المتجر الربيح ، عشر يترك فيه القبيح ، وتهجر الآثام ، فيها تصح الأُمور ، فيها تراق الخمور . فيها تتعطل الزمور ، فيها تنحنى الظهور من القيام ، فيها تُغَلُّ الشياطين ، فيها يعرف قدر الدين ، فيها يتشبه المسىءُ بالمحسنين ، فيها ترق القلوب ، فيها تغفر الذنوب .

عباد الله : احذروا هذا العدو الذى أَخرج أَباكم من الجنة ، فإِنه ساع فى منعكم من العود إِليها بكل سبيل ،

والعداوة بينكم وبينة قديمة ، فإنه ما أُخرج من الجنة وطرد عن الخدمة إلا بسبب تكبره على أبيكم ، وامتناعه من السجود لما أُمر به ، وقد أُبلس (١) من الرحمة ، وأَيس من العود إلى الجنة ، وتحقق خلوده فى النار ، فهو يجتهد أن يخلِّد معه فى النار بنى آدم بتحسين الشرك ، فإن عجز قنع بما دون ذلك من الفسق والعصيان، وقد حذركم مولاكم منه ، وقد أعذر من أنذر ، فخذوا حذركم :

« يَا بَنِى آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ (٢) .

فالعجب ممن عرف ربَّه وعصاه ، وعرف الشيطان وأَطاعه .

(أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا) (٣) .

عباد الله : أَيقظوا فى هذه العشر الأَسماع والأَبصار ، واحبسوا افيه عن الفضول اللسان الهذّار ، وانهضـــوا

(١) أبلس : أى يئس من رحمة الله ، والإبلاس : السكوت غماً .

(٢) سورة الأعراف ، الآية : ٢٧ .

(٣) سورة الكهف ، الآية : ٥٠ .

للاستغفار وقت الأَسحار ، واعجبا لمن ينام ؟ ، لازموا المساجد وتزودوا ، واجتمعوا على الفلاح والخير ، ولا تبددوا ، وتَصَبَّرُوا عن الخطايا وتسددوا ، فإنما هى أَيام ، فالفضائل فى هذه العشر كثيرة ، والمصالح وافرة غزيرة ، فالسعيد من عَمل وقُبل ، والشقى من طرد وخذل ، ومن الفضائل فيه إطعام الطعام ، وتفطير الصُّوَّام ، فإنه قد ورد عن خير الأَنام :

(مَنْ فَطَّرَ صَائِمًا كَانَ مَغْفِرَةً لِذُنُوبِهِ ، وَعتق رَقَبَته مِنَ النَّارِ) (٣) :

يَا نَفْسُ فَازَ الصَّالِحُونَ بِالتُّقَىٰ
وَأَبْصَرُوا الْحَقَّ وَقَلْبِى قَدْ عَمِى

يَاحُسْنَهُمْ وَاللَّيْلُ قَدْ أَجَنَّهُمْ
وَنُورُهُمْ يَفُوقُ نُورَ الْأَنْجُمِ

تَرَنَّمُوا بِالذِّكْرِ فِى لَيْلِهِمْ
فَعَيْشُهُمْ قَدْ طَابَ بِالتَّرَنُّمِ

قُلُوبُهُم بِالذِّكْرِ قَدْ تَفَرَّقَتْ
دُمُوعُهُمْ كَاللُّؤْلُؤِ الْمُنْتَظِمِ

أَسْحَارُهُمْ مِنْ نُورِهِمْ قَدْ أَشْرَقَتْ
وَخِلَعُ الْغُفْرَانِ خَــيْرُ الْمَقْسَم

وَيْحَكِ يَا نَفْسُ أَلَا تَيقُّـظٌ
يَنْفَعُ قَبْلَ أَنْ تَزِلَّ قَـــدَمِى

مَضَىٰ الزَّمَانُ فِى تَوانٍ وَهَــوًى
فَاسْتَدْرِكِى مَا قَدْ بِقى وَاغْتَنِمِى

واختلف أهل العلم فى : أى ليالى العشر أَرجى لليلة القدر ؟ فحكى عن الحسن ومالك : أَنها تطلب فى جميع ليالى العشر ، أشفاعه وأَوتاره ، ثم اختلفوا فى أَىِّ أَوتاره أَرجى ؟ قال الشافعى [فى المشهور عنه] إنها ليلة إحدى وعشرين : لحديث أبى سعيد .

يا لَيْلَةَ الْقَدْرِ لِلْعَابِدِينَ اشْهَدِى ، يا أَقْدَامَ الْقَائِمِينَ لِرَبِّك ارْكَعِى وَاسْجُدِى ، يا أَلْسِنَة السَّائلين جِدِّى فِى الْمَسْأَلَةِ وَاجْتَهِدِى ، تنبه للخلاص يا مسكين ، أَعتق نفسك من الرق يا رهين ، اقلع أَصل الهوى فأَصل الهوى مكين ، احذر غرور الدنيا فما للدنيا يمين ، يادائم المعاصى سِجْنُ العاصى سِجِّين ، تثب على الخطايا ولاوثبة

تِنِّين ، كأنك بالموت قد برز من كمين ، وآن الأمر فوقعت فى الأنين ، واستنبأت أنك فى أحوالك غبِين ، كيف ترى حالك إذا عبثت الشمال باليمين ؟ ثم ثقلت ولقبت بالميت الدفين ، يا مستوراً على الذنوب غدا ينجلى ويبين ، ترى متى هذا القلب القاسى يلين ؟ يا عجبا لقسوته وهو مخلوق من طين ، قال تعالى : (يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا ، وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بينها وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا) (١)الآية .

إنما يتبين ربح العاملين يوم المعاد ، وفيه تظهر آثار القرب والبعاد ، فمن عمل خيراً وجد جزاءه محضراً ، ومن عمل سوءاً وجده فى كتابه مسطوراً ، هذا الذى أزعج قلوب العارفين الخائفين ، وأسهر عيون العابدين ، (وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ)(٢) .

يعنى يعملون بالطاعات ما يعملون ، وهم مع ذلك وجِلون .

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى بالليل حتى

---

(١) سورة آل عمران ، الآية : ٣٠ .

(٢) سورة المؤمنين الآية : ٦٠ .

تورمت قدماه ، وكان يقرأُ فى ورده ودموعه تقع على الأَرض .

وكان إبراهيم عليه الصلاة والسلام ، يسمع لقلبه خفقان وغليان فى الصلاة ، هذا خوف الخليلين مع ما أعطيا من شرف المقام ، فالعجب كيف يطمئن قلب من أثقلت الآثام ظهره ؟ .

قال كعب الأَحبار : لو أَن رجلا عمل عمل سبعين نبياً لاستقله يوم القيامة ، لما يرى من أَهوال ذلك اليـوم .

قال بعضهم . كانت لى جارية حبشيَّة ، فمضت معى إلى السوق فى حاجة ، فأَقعدتها فى مكان ، وقلت لها اقعدى حتى آتيك ، ومضيت وقضيت أَربى ، ثم أَتيت المكان فلم أَجدها ، فأَتيت إلى منزلى مغضبا ، فلما رأَتنى قالت : ياسيدى لاتغضب ، إنك تركتنى فى مكان لم أجد من يذكر الله فيه ، فخفت أَن يخسف الله بهم ويخسف بى معهم ، ، فقلت لها : إن هذه الأُمَّةَ قد أَمَّنَها الله من الخسف ، فقالت : ياسيدى إنما خفت أَن يخسف بالقلوب ، فتزل عن الاستقامة ، فقلت لها :

اذهبي فأَنت حرة لوجه الله تعالى ، قالت يا سيدى : حرمتنى من خير كثير ، كنت أعبد ربى وأَخدمك فيكون لى أَجران (١) .

عباد الله هذا شهر رمضان قد انتصف ، فمن منكم حاسب نفسه وانتصف ؟ من منكم قام فى هذا الشهر بحقه الذى عرف ؟ من منكم عزم قبل غلق أَبواب الجنة أَن يبنى له فيها غرف من فوقها غرف ؟؟ أَلا إِن شهركم قد أَخذ فى النقص فزيدوا أَنتم فى العمل ، فكأَنكم به وقد انصرف ، فكل شهر عسى أَن يكون منه خلف ، وأَما شهر رمضان فمن أَين يكون منه الخلف ؟

اللَّهم أَيقظنا من رقدات الغفلة ، ووفقنا للتزود قبل النُّقلة ، وأَلهمنا اغتنام الزمان وقت المهلة ، واجعل خير أَيامنا وأَسعدها يوم لقاك ، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين ، برحمتك يا أرحم الراحمين .

---

(١) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« للعبد المملوك الصالح أجران » رواه الطبرانى عن أم حرام

المجلس الثانى

فى الأَمر بالاجتهاد بالعمل فى العشر الأَواخر

الحمد لله خالق الخلق كلهم من تراب ، وفارق بينهم فى المعانى والآداب ، رفع عن أَبصار بصائر أَوليائه الحجاب ، وأَشهدهم بما خفى عن غيرهم وغاب ، وشغل الجهال الطغام بالطعام والشراب ، فهم فى جمع الحطام بين المجىء والذهاب ، يعمرون بالشهوات أَجسامهم والقلوب فى خراب .

أَحمده على كل ماعرض وناب ، وأَقرّ بوحدانيته من غير شك ولا ارتياب .

وأصلِّى وأسلم على رسوله محمد الذى عرج به فكان قاب ، صلى الله عليه وعلى أَبى بكر السابق إلى الفضائل ولا سَبْقَ العراب (١) وعلى العادل عمر بن الخطاب ، وعلى عثمان منفق المال على الإسلام من غير حساب ، وعلى ابن عمه وزوج بضعته عَلِىٍّ لُبِّ اللُّباب ، وعلى بقية الصحابة والتابعين لهم إلى يوم الحشر والحساب ، وسلم تسليما.

---

(١) أى الخيل .

عباد الله إن عشر رمضان قد نزلت ببركاتها إليكم ، وأَشرفت بفضلها وشرفها عليكم ، فتأَهبوا لتلقيها بالعزم الصادق على الخير ، واجعلوا هممكم مصروفة إلى حراستها لاغير ، فإنها عشر بالبركات الوافرة قد حُفت ، وبالكرامة الظاهرة إليكم زفت ، عشر تربح فيها بضائع العبّاد ، وتغنم فيها عبادة الزهاد ، وتستقيم فيها صفوف الجهاد ، ويحسن فيها الاجتهاد ، عشر فيها يعتق الأَسير ، ويجبر بالفضل الكسير ، وتكف بالتقى أكف التبذير ، وتحضر القلوب وينفع التحذير ، ويستقيم فيها قدم العابد ويقل التعثير ، ويقوى فيها الباعث إلى التوبة المثير ،فأَعدوا لقدومها عدة ، واسأَلوا الله فيها التوفيق إلى أَن تكملوا العدة ، والحذر الحذر من التفريط والإهمال ، والتكاسل فيها عن صالح الأَعمال ، فهمة الصَّالحين فيها القراءة والقيام ، والكف عن فضول الكلام ، والسلامة من جميع الآثام ، والاشتغال بذكر الملك العلام ، فالسعيد من اغتنم موسم العمر قبل ذهابه ، وحاسب نفسه على إهماله قبل قراءة كتابه ، وراقب مولاه مراقبة من يعلم أنه يراه فى ذهابه وإيابه .

قال أَبو حازم : أَدركت أَقواما ما كان رمضان

يزيد اجتهادهم شيئاً ولا ينقص خروجه من اجتهادهم شيئاً .

وكان السلف الصالح إذا بلغ أَحدهم أَربعين سنة طوى فراشه .

ولما رأَت أمّ الرَّبيع بن خيثم كثرة بكائه واجتهاده قالت : يا بنى لعلك قتلت قتيلًا فأَنت خائف من ذنوبه ؟ قال : نعم يا أُماه ، قالت : فقل لنا مَنْ هو لعلنا نطلب من أَهله أَن يُسَامحوك ؟ فوالله لو رأَوا ما تصنع بنفسك لرحموك ، قال يا أُماه : إنما هى نفسى ، قتلتها بتقصيرى فى حقوق الله تعالى :

وصلى على بن أَبى طالب رضى الله عنه صلاة الصبح فلما سلم انفتل عن يمينه وعليه كآبة ، فمكث حتى طلعت الشمس ، ثم قلَّب يديه ، وقال : واللهِ لقد رأَيت أَصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وما أَرى اليوم أَحداً يشبههم ، كانوا يصبحون شعثا غبراً صفراً ، قد باتوا لله سجداً وقياما ، يتلون كتاب الله يراوحون بين أَقدامهم وجباههم ، وكانوا إذا ذكر الله عز وجل مادوا كما تميد الشجر فى يوم ريح ، وَهمَلت أَعينهم حتى

تبل ثيابهم ، ثم نظر إلى الذين حَولَه وقال : كأَن هؤلاءِ باتوا غافلين .

وكان أَبو مسلم الخولانى يعلق فى البيت سوطا بالليل ويقف للصلاة كلما فتر ضرب نفسه ، ويقول : أَنت أَحق بالضرب من دابتى .

عباد الله : أَين اللائذ بالجناب ؟ أَين الواقف على الباب ؟ أَين الباكي على ما جنا ؟ ، أَين المستغفر لأَمر قد دنا ؟ ، أَلا رب فَرِح بما يؤتى قد خرج اسمه فى الموتى ، أَلا رُبَّ غافل عن تدبر أَمره ، قد انفصَمت عُرَىٰ عمره ، أَلا رب معرض عن سبيل رشده ، قد آن أَوان شق لحده ، أَلا رب رافل فى ثوب شبابه ، قد أَزف فراقه لأَحبابه ، أَين من كان فى مثل هذا العشر فى منازله ، أَما ظهر له الخسران عند حساب ؟ معامله ؟ ، أَين المعتذر مما جناه ؟ ، قد اطلع عليه مولاه ؟ ، أَين الباكى على تقصيره ، قبل تحسره فى مصيره ؟

تَعَالوا كُلَّ مَنْ حَضَرا ... لِنَطْرُقَ بَابَهُ سَحَــرَا

وَنَبْكِي كُلُّنَا أَسَــفَا ... عَلَىٰ مَنْ بَاتَ قَدْ هَجَرا

في الحديث : « إِنَّ الْحُورَ تُنَادِي فِي شَهْرِ رَمَضَانَ ، هَلْ مِنْ خَاطِبٍ إِلى اللهِ فَيُزَوِّجهُ ؟ .

مهور الحور طول التهجد ، وهو حاصل فى هذه العشر أكثر من غيرها .

يا قوم ألا خاطب فى هذه العشر إلى الرحمن ؟ ، ألا راغب فيما أعد الله للطائعين فى الجنان ؟ ، ألا طالب لما أُخبر به من النعيم المقيم ؟ مع أنه ليس الخبر كالعيان .

مَنْ يُرِدْ مُلْكَ الْجِنَانِ فَلْيَدَعْ عَنْهُ التَّوَانِ
وَلْيَقُمْ فِي ظُلْمَةِ اللَّـ ـيْلِ إِلَىٰ نُورِ الْقرانِ
وَلْيَصِلْ صَوْمًا بِصَوْ مٍ إِنَّ هَذَا الْعَيْشَ فَانِ
إِنَّمَا الْعَيْشُ جِوَارُ اللَّـــهِ فِي دارِ الْأَمَـــانِ

عباد الله : قد ذهبَ عنكم أكثر شهر رمضان ، وأنتم اليوم فى العشر الحسان ، وهن عشر الإعتاق من النيران ، لمن ترك الذنوب واستحيا من رقيبه .

يقول الله تعالى :

(الصَّوْمُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ) .

عشر أَقبلت على المقبولين بتكثير الأُجور ، وعلى الصادقين بتوفير النور ، وعلى المتقين بالفرح والسرور ، وعلى التائبين بتقويم الأُمور ، وعلى العامل بكامل نصيبه :

« الصَّوْمُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ »

عشر يتم فيها الإِسعاد والتكريم ، ويتفضل بجزيل الإِنعام الملك الكريم ، ويصفد فيها كل شيطان رجيم ، ويعافى فيها مريض الخطايا السقيم ، إِذا امتثل أَمر طبيبه .

(الصَّوْمُ لِي ، وَأَنَا أَجْزِي بِه)

عشر فيها تتوافر العطايا والمنح ، ويتحصل فيها كلّ مأمول مقترح ، ويتم فيها للعابد الثواب والفرح ، ويغفر للعاصى كل ما جنا واجترح ، ويعاد فيها على كل من أَصلح وصلح بإِدنائه وتقريبه :

(الصَّوْمُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ)

عشر يعفو فيها عن عباده الرؤوف الرحيم ، فاحفظوه لعله يحلّكُم جناتِ النعيم ، ويقيكم فى القيامة هول الجحيم ، إِذا انزعجت القلوب لِهَيبَةِ لَهِيبهِ .

لقد سعد من اتقى فيها والنجا ، وتسحر فى جوف الليل وظلمة الدجى ببكائه ونحيبه :

(الصَّوْمُ لى وَأَنَا أَجْزِى بِهِ)

فصححوا فيها رحمكم الله الفروض والنوافل ، واحترسوا من الغفلات القواتل ، وتيقظوا فيها قبل لحاق الأَواخر الأَوائل ، واعتذروا فى هذه الأَيام والليالى القلائل ، قبل أَن يرد اعتذار العاصى بتكذيبه .

(الصَّوْمُ لِى وأَنا أَجزى به)

واحذروا غيبة الناس فإِنها تحبط الأَجر ، وجانبوا أَكل الحرام فإِنه سبب الطرد والهجر ، وعظموا عشركم فإِنه من عظيم الأَمر ، وانتظروا فيها بحسن اليقظة لليلة القدر ، فإِنها عظيمة القدر ، فيا فوز من خشى فيها من رقيبه :

(الصَّوْمُ لى وَأَنَا أَجْزِى بِهِ)

وإِياكم فيها وفضول النظر والكلام ، واجتهدوا فى الصلاة والقيام ، فإِذا سَلِمَ رمضانُ سَلِمَ جميع العام ، عساه يقيكم شر الوقوف على الأَقدام ، يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيه ، والنسيب من نسيبه :

(الصَّوْمُ لىَ وَأَنَا أَجْزِى بِهِ) .

فى الأَثر المشهور عن الفضيل بن عياض أَن الله تعالى يقول كل ليلة :

(أَنـا الْجَوَّادُ ومِنِّى الْجُودُ ، وَأَنَا الْكَرِيمُ وَمِنِّى الْكَرَمُ) ، فالله سبحانه وتعالى أَجود الأَجودين (١) وجوده يتضاعف

(١) يقول عليه الصلاة والسلام : « ألا أخبركم عن الأجود : الله الأجود، وأنا أجود ولد آدم ، وأجودهم من بعدى : رجل علم علما فانتشر =

فى أوقات خاصَّة كشهر رمضان ، وفيه أنزل الله :

« وإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الداعِ إِذَا دَعَانِ » (١)

فى التوراة : طوبى لمن جوَّع نفسه ليوم الشبع الأكبر ، طوبى لمن أظمأ نفسه ليوم الرى الأكبر طوبى لمن ترك شهوة حاضرة لموعد غيب لم يَره ، طوبى لمن ترك طعاماً ينفذُ فى دار تنفذُ لدار (أَكلها دائم وظلها) .

من يرد ملك الجنان فليدع عنه التوانى
وليقم فى ظلمة الليل إلى نور القران
وليصلْ صوماً بصوم ان هذا العيش فان ،
إنما العيش جوار الله فى دار الأمان

وفى حديث أبان عن أنس عن ربيعة بن أبى وقاص عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :« ثَلَاثَةُ مَوَاطِنَ لَاتُرَدُّ فِيهَا دَعْوَةٌ ، رَجُلٌ يَكُونُ فِى بَرِّيَّة لَايَرَاهُ أَحَدٌ يَقُومُ يُصَلِّى فَيَقُولُ اللهُ لِمَلَائِكَتِهِ : (أَرَىٰ عَبْدِى هَذَا يَعْلَمُ

= علمه ، يبعث يوم القيامة أمة وحده ؛ ورجل جاد بنفسه فى سبيل الله حتى يقتل » ، رواه أبو يعلى فى مسنده عن أنس رضى الله عنه .

(١) سورة البقرة ، الآية : ١٨٦ .

أَنَّ لَهُ ربًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ ، فَانْظُرُوا مَاذَا يَطْلُب ؟ فَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ : أَىْ رَبِّ رِضَاكَ ، وَمَغْفِرَتَكَ ، فَيَقُولُ اشْهَدُوا أَنِّى قَدْ غَفَرْتُ لَهُ . وَرَجُلٌ يَقُومُ فِى اللَّيْلِ فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : أَلَيْسَ قَدْ جَعَلْتُ اللَّيْلَ سَكَنًا ؟ وَالنَّوْمَ سُبَاتًا ؟ فَقَامَ عَبْدِى هَذَا يُصَلِّى ، يَعْلَمُ أَنَّ لَهُ رَبًّا ، فَيَقُولُ لِمَلَائِكَتِهِ : انْظُرُوا مَاذَا يَطْلبُ عَبْدِى هَذَا ؟ فَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ : يَارَبِّ رِضَاكَ وَمَغْفِرَتَكَ ، فَيَقُولُ : اشْهَدُوا أَنِّى غَفَرْتُ لَهُ (١) الحديث .

كان أَبو ذر يقول للناس : [أَرأَيتم لو أَن أَحدكم أَراد سفراً ، أَليس يتخذ من الزاد ما يصلحه ويبلِّغه ؟ قالوا : بلى . قال : فسفر القيامة أَبعد ، فخذوا له ما يصلحكم : حجوا حجة لعظائم الأُمور ، وصوموا يوماً شديداً حره لحر يوم النشور ، وصلوا ركعتين فى ظلمة الليل لظلمة القبور ، وتصدقوا بصدقة لشر يوم عسير] .

صلى كثير من السلف صلاة الصبح بوضوءِ العشاء عشرين سنة ، ومنهم من صلى كذلك أَربعين سنة .

---

(١) ابن مندة وأبو نعيم باختلاف فى اللفظ .

قال بعضهم [من ذوى أَربعين سنة] ما أَحزننى إلاطلوع الفجر .

قال ثابت البنانى : كابدت قيام الليل عشرين سنة ، وتنعمت به عشرين سنة أُخرى ، وفى المسند عن مالك ابن الحويرث عن عمر رضى الله عنه ، قال : التوانى فى كل شىءٍ خير ، إلا ما كان من أَمر الآخرة . وفيه أَيضاً عن العلاءِ بن زياد ، قال : ليس يوم يأْتى من أَيام الدنيا إلا يتكلم يقول : يا أَيها الناس إنى يوم جديد ، وأَنا على ما يعمل بى شهيد ، وإنى لو قد غابت شمسى لم أَرجع إليكم إلى يوم القيامة . وروى ابن ماجه عن جابر أَن النبى صلى الله عليه وسلم خطب فقال فى خطبته : « أَيُّها النَّاسُ : تُوبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ قَبْلَ أَنْ تَمُوتُوا ، وَبَادِرُو بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ قَبْلَ أَنْ تُشْغَلُوا » .

فأَمر بالمبادرة بالتوبة قبل الموت ، وكل ساعة تمر بابن آدم فإنه يمكن أَن تكون ساعة موته :

لَا تَأْمَنِ الْموتَ فِى طَرْفٍ وَلَا نَفَس
وَإِنْ تَمَنَّعْتَ بِالْحُجَّابِ وَالْحَرَسِ

٦- عباد الله : التوبة التوبة قبل أَن يصل إليكم من

الموت النوبة ، فيحصل المفرط على الندم والخيبة ، الإنابة الإنابة قبل غلق باب الإجابة ، الإفاقة الإفاقة ، فقد قرب وقت الفاقة ، ما أحسن قلق التواب ؟ ، ما أحلى قدوم الغيّاب ،، ما أجمل وقوفهم بالباب :

أَسَأْتُ وَلَمْ أُحْسِنْ وَجِئْتُكَ تَائِباً
وَأَنِّى لِعَبْدٍ عَنْ مَوَالِيهِ يَهْـرُبُ

يُؤَمِّلُ غُفْرَاناً فإِنْ خَابَ ظَنُّـهُ
فَمَا أَحَدٌ مِنْهُ عَلَى الْأَرْضِ أَخْيَبُ

اللهم إنا نسألك التوبة ودوامها ، ونعوذ بك من المعصية وأسبابها ، وأَفِضْ علينا من بحر كرمك وعفوك حتى نخرج من الدنيا على السلامة من وبالها ، ومتعنا بالنظر إلى وجهك الكريم ، فى جنات النعيم ، مع الذين أنعمت عليهم ، من النبيين ، والصدّيقين ، والشهداء ، والصالحين .

واغفر لنا ولوالدينا وجميع المسلمين ، برحمتك يا أرحم الراحمين .

المجلس الثالث

فى فضل ليلة ثلاث وعشرين من رمضان

الحمد لله اللطيف الرؤوف، العظيم المنان ، الكريم القديم الديان ، الغني العلى القوى السلطان ، الحكيم الرحيم الرحمن .

الأَول فلا سابق لسبقه ، المنعم فما قام مخلوق بحقه .

أَحمده على ما خصنا به من الصيام والقيام ، وأَشكره على تمام الفضل وسبوغ الإِنعام .

وأَشهد أَن لا إِله إِلا الله وحده لاشريك له الذى لا تحيط به العقول ولاتدركه الأَوهام ، وأَشهد أَن نبينا محمداً عبده ورسوله المخصوص بشريعة الإِسلام ، صلى الله عليه وعلى أَبى بكر رفيقه فى الغار ، وعلى عمر فاتح الأَمصار ، وعلى عثمان شهيد الدار ، وعلى على ابن عم المختار ، وعلى سائر آله وأَصحابه الأَبرار وسلم تسليما .

عباد الله : هذه الليلةُ هى ليلة ثلاث وعشرين ، وقد قال قوم : إِنها ليلة القدر .

وقد قال قوم إنها ليلة القدر ، وقد روى عن على رضى الله عنه (إن ليلة القدر ليلة ثلاث وعشرين) . وقال ابن مسعود (اطلبوا ليلة القدر فى ثلاث وعشرين) . وروى الشافعى إن أرجاها ليلة ثلاث وعشرين ، وهذا قول أهل المدينة ، وحكاه الثورى عن أهل مكة والمدينة : إنها ليلة ثلاث وعشرين ، وممن روى أنه يوقظ أهله ليلة ثلاث وعشرين ابن عباس ، وعائشة ، ، وهو قول مكحول .

وروى رشدين بن سعد عن زهرة بن معبد قال : أصابنى احتلام بأرض العدو وأنا فى البحر ليلة ثلاث وعشرين من رمضان ، فذهبت لاغتسل منه فسقطت فى الماء فإذا الماءُ عذب ، فناديت أصحابى أُعلمهم أنى فى ماء عذب ، قال ابن عبد العزيز : عبد الله (هذه الليلة تعرف بليلة الجهنى بالمدينة) يعنى عبد الله بن أنيس ، وقد روى عنه : أن النبي صلى الله عليه وسلم أمره بقيامها . وفى صحيح مسلم عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال فى ليلة القدر (لَقَدْ رَأَيْتُنِى أَنِّى أَسْجُدُ صَبْيحَتَهَا فِى مَاءٍ وَطِين) فانصرف النبى صلى الله عليه وسلم من صلاة الصبح يوم ثلاث وعشرين وعلى جبهته أثر الماء والطين ، وقد ثبت عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال :

(مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا واحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ) (١) .

وقيامها إنما هو إحياؤها بالتهجد فيها والصلاة ، وقد أَمر النبي صلى الله عليه وسلم عائشة بالدعاءِ فيها . وقال سفيان الثورى (الدعاء فى تلك الليلة أَحب إلىّ من الصلاة) وإذا كان يقرأَ وهو يدعو ويرغب إلى الله فى الدعاء والمسأَلة ، فلعله يوافق ساعة الإجابة ، ومراده أَن كثير الدعاءِ أَفضل من الصلاة التى يكثر فيها الدعاء ، وإن قرأَ ودعا كان حسنا .

قال الشافعى : أستحب أَن يكون اجتهاده فى نهارها كاجتهاده فى ليلها ، وهذا يقتضى استحباب الاجتهاد فى جميع زمان العشر الأَواخر : ليلها ونهارها ، لأَن ليلة القدر لاتعلم بعينها .

المحبون تطول عليهم الليالى فيعدونها عداً لانتظارهم ليالى العشر فى كل عام ، فإذا ظفروا بها نالوا مطلوبهم ، وخدموا محبوبهم ، رياح هذه الأَسحار تحمل أَنين المذنبين ، وأَنفاس المحبين ، وقصص التائبين ، ثم

(١) رواه البخارى وأبو داود ، والترمذى والنسائى عن أبى هريرة .

تعود برد الجواب بلا كتاب ، أَشكو إلى الله كما شكا أَولاد يعقوب إلى يوسف .

قد مسنى الضر وأَنت الذى تعلم حالى وترى موقفى ، بضاعتى المزجاة محتاجة إلى سماح من كريم ، وفَىٍّ ، فقد أَتى المسكين مستمطراً جودك فارحم ذُلَّة واعطف ، فأوف كيلى ، تصدق على هذا المقل البائس الأَضعف .

أَين أَرباب القيام ؟ ابن المتهجدون فى جنح الظلام ؟ ، ذهبوا وغابوا فعليهم السلام .

ياناسياً للعهد عاملتنا
ثم تعللت بطيب الرقاد

ثم تشاغلت وأَين الذى
حَصّلت : كلا بل حرمت المراد

فاز الذى عاملنا بالرضى
وحصل الزاد ليوم المعاد

شمرْ من اليوم ودعْ ما مضى
كن فقيراً : ما مضى لايعاد

اسمع يا مضيع الزمان ؟ ، فما ينقص الإيمان :

ما أَراكفى رمضان إلا كما كنت فى جمادى وشعبان .
أَما يسوقك إلى الخير ما يسوق ؟

إلى متى شوق المشوق إلى سوق الفسوق ! ؟
أَوله سهل ثم تنخرق الخروق .

ميز بين ما يفنى وما يبقى ترى الفروق .
خَلِّ خِلّ التوانى إن شئت تفوق .

كانت بعض المتعبدات تدعو فى تهجدها ، تقول : « إلهى ما أَشوقنى إلى لقائك ، وأَعظم رجائى لجزائك ، وأَنت الكريم ، الذى لا يخيب لديه أَمل الآملين ، ولا يبطل عنده شوق المشتاقين ، إلهى إن كان قد دنا أَجلى ولم يُقَرِّبْنى عملى ، فقد جعلت الاعتراف بالذنب وسائل عللى ؟ ، فإن عفوت فمَن أَوْلَىٰ طَوْلًا منك بذلك ؟ وإن عذبت فمَن أَعدل منك هنالك ؟ إلهى قد جُرتُ على نفسى فى النظر لها ، وبقى لها حسن نظرك ، فالويل لها إن لم يسعدها حسن نظرك ، إلهى إنك لم تزل بى بَرًا أَيام حياتى ، فلا تقطع عنى برك بعد وفاتى ، ولقد رجوت من تولانى فى حياتى بإحسانه أَن يسعفنى عند مماتى بغفرانه .

إلهى إن كانت ذنوبى قد أَخافتنى ، فإن محبتى لك قد أَجارتنى ، فتولّ من أَمرى ما أَنت أَهله ، وَعُدْ بفضلك

على من غره جهله ، إلهى ما أَظنك تردنى فى حاجة أَفنيت فيها عمرى .

إلهى لولا ذنوبى ما خفت عقابك ، ولولا ما عرفت من كرمك ما رجوت ثوابك » .

ثم لاتزال تبكى حتى يطلع الفجر .

ولهفاه ، هذه همم النساءِ غلبت همم الأَبطال ، ونحن رجال ، فأَين عزم الرجال ؟ كأَنا تقاسمنا الذكورية فلهن المعانى ، « فإن الله تعالى لاينظر إلى صوركم ، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأَعمالكم » ، فيا ليتنا حيث قصّرنا عن أَعمال الأَبرار ، سلمنا من كسب الآثام والأَوزار .

قال رجل لبعض الصالحين :

إنى عاجز عن قيام الليل ، فقال : يا أَخى لاتعص الله بالنهار

وقال الفضيل : إذا لم تقدر على الصيام والقيام فاعلم أَنك محروم بذنوبك .

فالجاهل يظن أَن هؤلاءِ عبدوا الله بصحة الأَجسام وقوة الأَركان ، ولكن عبدوا الله بصحة القلوب وقوة الإيمان ؛ أَكلهم أَكل المرضى ، ونومهم نوم الغرقى ، وكلامهم كلام الخائف بين يدى ملك جبار ، وعزمهم عزم الهارب من سيل مغرق ، أَونار محرق .

وكان أبو حنيفة ليس له فراش للنوم .

يا هذا بين حالك وحالهم كما بين وقتك وأوقاتهم ، يا غائبا فى صلاته ، يا شتيت الهم فى جهاته ، يا مشغولا بأوقاته عن ذكر وفاته ، يا قليل الزاد مع قرب مماته ، لقد ربحَ القوم وإنك نائم ، وخبت ورجعوا بالغنائم ، يا من هو بالليل راقد وبالنهار هائم ، وغاية ما يشتهى مشاركة البهائم ، نظروا فى عواقب الأُمور ، فقبروا أَنفسهم قبل المقبور ، وأُخرجوا من ظلام الشبهة إلى أَجلى نور ، فما استفزهم فانٍ ولا غرهم غرور ، أَطار خوف النار نومَهم ، وأَطال ذكر العطش صومَهم ، وهوّن فكرهم فى العتاب نَصَبَهم ، ونَصَبَهم على الأَقدام ذكر القيام وأَنصبهم .

عباد الله اجتهدوا فى هذه الليالى والأَيام القليلة ، لعلكم تنجون من الأَهوال العسيرة ، قال تعالى :

(وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَىٰ اللهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ) (١) .

وإذا قام الناس من قبورهم لفصل القضاء حشروا على

---

(١) سورة البقرة ، الآية : ٢٨١ .

أَحوال ، فمنهم من يكسى ، ومنهم من يحشر عريانا ، ومنهم راكب ، وماش ، ومسحوب على وجهه ومنهم من يذهب إلى الموقف راغبا ، ومنهم من يذهب إليه خائفا ، ومنهم قوم تسوقهم النار سوقا حفاة ، عراة غُرْلًا .

فيا هذا اذكر إذا قمت من قبرك فقيرا ، لاتملك من من المال نقيرا ، وأَصبحت بالذنوب عقيرا ، فلوقدمت من الخير حقيراً ، صار لك ملجأً وملاذاً .

(لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذٰا) (١) .

ونصب الصراط والميزان ، وتغيرت الوجوه والأَلوان ، ونودى شقى فلان بن فلان ، وما ترى للعذر نفاذا ، (لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هٰذَا) .

إخوانى حسن الأَدب فى الصلاة دليل على معرفة الرب ، والتفات البدن دليل على إعراض القلب ، وقد وصفت لكم أَحوال الصالحين ، وأَحوال الخائفين ، فهل أَنتم منهم أَومن الغافلين ؟ ، سبحان من قوَّمهم وأَصلحهم ، وعاملوه باليسير فأَربحهم ، واعتذروا من

---

(١) سورة ق ، الآية : ٢٣ .

التقصير فسامحهم ، وقد أثنى عليهم ومدحهم ، ان كنتم تسمعون .

(الَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ) (١) .

اغتنم القوم الأيام ، واجتنبوا الخطايا والآثام ، وصمتوا عن ردئ الكلام ، وَصُمُّوا عن استماع الحرام ، فكأنهم ما يسمعون .

(الَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ) .

كَفُّوا الأَكُفَّ عن الفساد ، وهجرت الرؤوس الوساد ، وحضر القلب للمناجاة وانقاد ، وأنتم فى سُكرِ الرقاد .

وهم يسجدون ويركعون .

(الَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ) .

ما أوفى تلك الأحوال ، ما أصفى تلك الخصال ، ما أزكى تلك الأعمال ، جمعوا الهموم ، فأما الأموال فما يجمعون .

(الَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ) .

توانيتم وسير القوم حثيث ، وصفت أعمالهم وفعلكم كَدِرٌ خبيث ، ونصحناكم ، ولكن قد ضاع الحديث ، وما أراكم تسمعون .

---

(١) سورة المؤمنون ، الآية : ٢٠ .

(الَّذِين هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ) .

ياربّ وفقنا لما وفقت القوم ، وأَيقظنا من سِنَة الغفلة والنوم ، وارزقنا الاستعداد لذلك اليوم ، الذى به يربح العاملون :

(الَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ) .

اللهم عاملنا بإحسانك ، وتداركنا بفضلك وامتنانك ، وتولنا برحمتك وغفرانك ، ولا تحرمنا بذنوبنا ، ولا تطردنا بعيوبنا ، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين ، برحمتك ياأَرحم الرَّاحمين .

المجلس الرابع

فى فضل السبع الأَواخر من عشر رمضان وليلة القدر

الحمد لله الذى ظهر لأَبصار البصائر عيانا ، فامتلأَت قلوب عارفيه به إِيمانا ، الحى الباقى فلا يزول ولا يتفانا السميع البصير ، فهو يسمعنا ويرانا .

نحمده على ما أَولانا ، ونشكره ، وكيف لانشكر مولانـا .

ونشهد لهُ بالوحدانية سراً وإِعلانا ، وأَن نبينا محمداً عبده ورسوله . صلى الله عليه وعلى آله وأَصحابه الذين كانوا أَنصاراً له على الحق وأَعوانا : أَبى بكر وعمر وعثمان وعلى ، سادات الأُمة الشجعانا ، وعلى سائر أَصحابه والتابعين لهم بإِحسان وسلم تسليما .

عباد الله : قد أَقبلت إِليكم ليلة القدر ، ولها أَعظم الشرف ووافى الأَجر ، ليلة شرفها الله على غيرها ، ومنَّ على عباده بجزيل خيرها ، ليلة أَنزل الله فيها القرآن ، وأَجزل فيها الأَفضال والإِحسان ، فخذ أَيها الإِنسان بنصيبك الحسن ، واهجر لذيذ النوم وطِيبَ الوَسَن ،

وجاف جنبيك الفراش الحسن ، واعلموا أَن هذه الليلة ليلة أَربع وعشرين ، وهى أَول السبع الأَواخر ؛ وقد قال طائفة من أَهل العلم (إنها ليلة القدر) ، وممن قال ذلك : الحسن البصرى ، وأَهل البصرة كافة ، وروى عن أَنس أَنه يقول بذلك .

وكان حميد الطويل وأَيوب السختيانى ، وثابت البنانى يحتاطون فيجمعون بين الليلتين - أَعنى ليلة ثلاث وعشرين وأَربع وعشرين ، لأَن ليلة ثلاث وعشرين وهى أَول السبع على حساب نقصان الشهر ، وأَربع وعشرين هى أَول السبع على تمام الشهر .

وأَخرج أَحمد وأَبو داود ، والترمذى ، وابن جرير ، عن بلال رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(لَيْلَةُ الْقَدْرِ ، لَيْلَةُ أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ) .

وقال مجاهد (لَيْلَةُ الْقَدْرِ ، ليلة أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ) .

وروى سعيد بن جبير قال : قمنا مع ابن عباس رضى الله عنهما ذات ليلة فى المسجد الحرام ، فخفق رأسه

خفقة ، فقال : أيّ ليلة هذه ؟ قلنا : ليلة أربع وعشرين قال : الليلة ليلة القدر ، رأيت الملائكة نزلوا .

وقد قالت عائشة رضى الله عنها للنبي صلى الله عليه وسلم : أرأيت إن وافقت ليلةَ القدر ، ما أقول فيها ؟ قال : قولى اللَّهُمَّ إنَّكَ عَفُوٌّ تُحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنِّى .

العفو من أسماء الله ، وهو المتجاوز عن سيئات عباده ، الماحى لآثارها عنهم ، وهو يحب العفو عن عباده ، ويحب من عباده أن يعفو بعضهم عن بعض ، فإذا عفا بعضهم عن بعض عاملهم الله بعفوه ، وعفوه أحب إليه من عقوبته .

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول :

أَعُوذ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ ، وَبِعَفْوِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ » .

قال يحيي بن معاذ : لو لم يكن العفو أَحبَّ الأَشياء إليه لم يَبْتَل بِالذَّنْبِ أَكْرَمَ النَّاسِ عليه ، يشير إلى أَنه ابتلى كثيراً من أوليائه وأحبابه بشيء من الذنوب ليعاملهم بالعفو .

قال بعض السلف الصالح : لو أَعلم أَحبَّ الأَعمال

إلى الله لاجتهدت فيه) فرأى قائلًا يقول فى منامه : إنك تريد مالايكون ، إن الله يحب أَن يعفو ويغفر ، وإنما أَحب أَن يعفو ، ليكون العباد كلهم تحت عفوه ، ولا يدلّ عليه أَحد منهم بعمل .

وقد جاء فى حديث ابن عباس مرفوعاً : « إِنَّ اللّٰهَ يَنْظُرُ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّد صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَعْفُوَ عَنْهُمْ وَيَرْحَمَهُمْ ، إِلَّا أَربعة ، مُدْمِنَ خَمْر ، وعَاقّ ، وَمُشَاحِن ، وَقَاطِع رَحِمٍ » .

لَمَّا عرف الْعارفون جلاله خضعوا ، ولمَّا سمع المذنبونَ عفْوهُ طَمعوا ، مَا ثَمَّ إِلَّا عفو الله أَو النار ، لولا طمع المذنبين فى العفو ، لاحترقت قلوبهم باليأْس من الرحمة ، ولكن إذا ذكروا عفو الله استروحُوا إلى برد عفوه .

قال يحيي بن معاذ : ليس بعارف من لم يكن غاية أَمله من الله العفو ، إن كنت لا أَصلح للقرب فشأْنكم عفو عن الذنب .

كان مطرِّف يقول فى دعائه : اللهم ارض عنا ، فإن لم ترضَ عنا ، فاعف عنا .

من عظمت ذنوبه لم يطمع فى الرضاء ، وكان غاية أَمله أَن يطمع فى العفو ، ومن كملت معرفته لم ير نفسه إلا فى هذه المنزلة

يَا رَبِّ عَبْدُكَ قَدْ أَتَا ... كَ وَقَدْ أَسَاءَ وَقَدْ هَفَا
يَكْفِيكَ مِنْـهُ حَيَاؤُهُ ... مِنْ شَرِّ مَا قَـدْ أَسْلَفَا
حَمَلَ الذُّنُوبَ عَلَى الذُّنُو ... بِ الْمُوبِقَاتِ وَأَسْرَفَا
وَقَدِ اَسْتَجَارَ بِذَيلِ عَفْـ ... وِكَ مِنْ عِقَابِكَ مُلْحِفَا
يَا رَبِّ فَاعْفُ عَنْهُ وَعَافِهِ ... فَلأَنْتَ أَوْلَىٰ مَنْ عَفَا

واعلم أَنه لايصلح لمناجاة الملوك فى الخلوة إلا من زين باطنه وظاهره وطهّرهما ، خصوصاً لملك الملوك ، الذى يعلم السر وأَخفى ، وهو « لاينظر إلى صوركم وأَجسامكم وإنما ينظر إلى قلوبكم وأَعمالكم » ، فمن وقف بين يديه فليزين له ظاهره بالخشوع والإطراق وحسن الأَدب فى العبادة ، ويزين باطنه بلباس التقوى .

خطب عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه آخر خطبة خطبها ، قال فيها :

« إنكم لم تخلقوا عبثاً ، ولن تتركوا سدى ، وإن لكم

موعداً ينزل الله فيه للفصل بين عباده ، فقد خاب وخسِر من خرج من رحمة الله التى وسعت كل شيء ، وحرم (جَنَّةً عَرْضَهَا السَّمٰوَاتُ وَالْأَرْضُ) (١) .

ألا ترون أنكم فى أسلاب الهالكين ؟ وسيرثها بعدكم الباقون ، كما تركها الماضون ، كذلك حتى تُرَدُّ إلى خير الوارثين ، وفى كل يوم تشيعون غاديا إلى الله ورائحا قد قضى نحبه ، وانقضى أجله . فتودعونه وتَدَعُونه فى صَدْعٍ من الأرض غيرَ مُوَسد وَلا ممهد ، قد خلع الأسباب ، وفارق الأحباب ، وسكن التراب ، وواجه الحساب ، غنيا عما خلَّف . فقيراً إلى ما أسلف . فاتقوا الله عباد الله قبل نزول الموت ، وانقضاء مواقيته ، وإنى لأقول لكم هذه المقالة ، وما أعلم عند أحد من الذنوب أكثر مما عندى ، ولكنى أستغفر الله وأتوب إليه » .

ثم رفع طرف ردائه وبكى حتى شهق ، ثم نزل عن المنبر ، فما عاد إلى المنبر بعدها حتى مات رحمة الله عليه .

(١) اقرأ من سورة آل عمران ، الآية : ١٣٣ .

هذه حال السلف الماضين ، هذه أَحوال الخائفين ، انتبهوا يا راقدين .

كان شداد بن أَوس إذا أَوى إلى فراشه كأَنه حَبَّةٌ عَلى مِقْلَىٰ ، ثم يقول :

اللهم إن جهنم لا تدعنى أَنام ، فيقوم إلى مصلاه .

وقالت بنت الربيع بن خيثم :

يا أَبت مالى أَرى الناس ينامون ولا أَراك تنام ؟ فقال : يا بنية إن أَباك يخاف البَيَاتَ(١) .

وكان زمعة العابد يقوم فيصلى طويلًا ، فإذا كان السحر نادى بأَعلى صوته (يا أَيها الركب المعرِّسُون (٢) ؟ أَكلَّ هذَا الليل ترقدون ؟ أَلا تقومون فَتُرحِّلُونَ .

فَيُسْمَعُ مِنْ هاهنا باك ، ومِنْ هاهنا داع ، ومِنْ هاهنا منوحون ، فإذا طلع الفجر نادى بأَعلى صوته (عند الصَّباح يَحْمَدُ القوم السُّرَىٰ) (٣) .

وعن أَحمد بن أَبى الحوارى قال : دخلت على

---

(١) أى يخاف أن يوقع به العدو .

(٢) عرس بالمكان : نزل به فى السفر آخر الليل للاستراحة .

(٣) السرى : السير ليلا .

أَبي سليمان وهو يبكى ، فقلت له : ما يبكيك ؟ فقال لى : يا أَحمد ولم لا أَبكى ؟ وإذا جن الليل ، ونامت العيون ، وخلا كلُّ حبيب بحبيبه ، وافترش أَهل المحبة أَقدامهم ، وجرت دموعهم على خدودهم ، وقطرت فى محاريبهم : أَشرف الجليل سبحانه وتعالى فنادى :

يا جبريل : بعينى من تلذذ بكلامى ، فلم لاتنادى فيهم ما هذا البكاء ؟ هل رأَيتم حبيباً يعذب أَحْبَابه ؟ أَمْ كيف يجمل بى أَن أَعذب قوماً إِذا جنَّهم الليل تملقوا لى ؟ ، فبى حلفت إذا وردوا علىّ يوم القيامة لأَكشفن لهم عن وجهى الكريم ، حتى ينظروا إِلىّ وأَنظر إِليهم .

وقال أَحمد أَيضاً : سمعت أَبا سليمان يقول : بينما أَنا ساجد ذهب بى النوم ، فإِذا أَنا بحوراءِ قد ركضتنى برجلها ، وقالت : حبيبى : أَترقد والملك يقظان ينظر إلى المتهجدين فى تهجدهم ؟ بؤساً لعين آثرت لذة نومة على مناجاة العزيز ، فقم ، فقد دنا الفراق ، ولقى المحبون بعضهم بعضاً ، فما هذا الرقاد ؟ حبيبى وقرة عينى أَترقد عيناك وأَنا أُربَّىٰ لك فى الخدور ؟ فوثبت فزعاً وقد

عرقت استحياء من توبيخها إياى ، وإن حلاوة منطقها لفى سمعى وقلبى .

عباد الله : الدنيا فى إدبار ، وأهلها فى استكثار ، والزارع فيها غير التقى لا يحصد إلا الندم ، وا أسفاً من الصحيفة إن نشرها ، واحزناً على الذنوب إن أظهرها ، واحسرتا على خطايا ما غفرها .

يا من حادَ عن الطريق وقد أبصرها ، يامن شاهد نجاته وكأنه لم يرها ، تالله لقد آذى العاصى نفسه وعثَّرها ، كم سمع من موعظة من مذكِّرٍ قد قررها ، ثم أعرض عنها بعد ما فهمها وتدبرها .

يا مبارزاً بالمعاصى رب الأرباب ، من أعظم منك صبراً على العذاب . أنسيت معادك ، وأطلت أملك ، وأعرضت إلى الهوى عن أمرِ مَنْ ملك .

لقد أناخ التقصير والتمادى ببابك ، وقل أن يعبق بريح الثواب شىء من أثوابك ، والشيطان يجرى منك مجرى الدم ، فهو متمكن منك إذا قمت فى محرابك ، من حين قولك الله أكبر ، تقوم إلى صلاتك وأنت متكاسل ، وتدخل فى العبادة والقلب غافل ، وتستعجل فى الصلاة لأجل العاجل ، وإذا نظرنا إلى بعد الفراغ الحاصل ، فالجسد أقبل والقلب أدبر .

يا من ذل المعاصى يعلوه ، يا مظلم القلب متى تجلوه ، هذا القرآن يتلى عليك وتتلوه ، ولكن ما تدبَّر ، كيف بك إذا خلت الديار ، وذهب الليل والنهار ، والإنس والجن والأَطيار ، ونضبت البحار والأَنهار ، وبست الجبال ، فصارت كالغبار ، وقال الملك العظيم الجبار :

(لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ : لله الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ) .

كيف بك إذا قامت الأَقدام حتى تعبت ونَصَبَتْ ؟ وكلما سعت تعثرت فى الطريق وكبت ،وسقطت الجبال ولطالما انتصبت ، وظهرت المخبآت التى كانت قد احتجبت ، والحوض غزير الماء ، وكم نفس ما شربت ، وجىء بالنيران فزفرت وغضبت ، ونهضت مسرعة إلى أربابها ووشبت ، فانزعجت القلوب ، ورهبت وهربت ، وكيف لا تنزعج وهى تدرى أَنها طلبت ؟ ، وميزان الأَعمال على العدل قد نصبت ،ونادى المنادى فبكت العيون وانتحبت :

(الْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْس مَّا عَمِلَتْ) .

اللهم أَعتقنا من النار ، وسلِّمنا من دار البوار ، ووفقنا لسلوك عبادك الأَخيار ، واغفر لنا جميع الذنوب والأَوزار ، وعاملنا بمحض فضلك وكرمك يا أَكرم الأَكرمين ، وعمنا بعفوك ومغفرتك ووالدينا وجميع المسلمين الأَحياء منهم والميتين ، برحمتك يا أَرحم الراحمين .

المجلس الخامس

فى فضل ليلة خمس وعشرين من رمضان المعظم

الحمد لله المعروف بدليله ، الهادى إلى سبيله ، الصادق فى قيله ، المشكور على كثير الإنعام وقليله .

أَحمده على فضله الشامل ، وأَشكره على إحسانه الكامل .

وأَشهد أَن لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، شهادة ظهر نورها ولاح ، وغدا برهانها وراح .

وأَشهد أَن نبينا محمداً عبده ورسوله : أَرسله والحق داثر ، وقَدَم الصواب عاثر ، فقمع الباطلَ بالحق الظاهر ، ونسخ ظلمات الجهالة بنور العلم الزاهر .

صلى الله عليه وعلى أَبى بكر وعمر وعثمان وعلى ذوى المفاخر ، وسلم تسليما .

عباد الله ، اجتهدوا فى إخلاص الأَعمال والابتهال إلى ذى العظمة والجلال ، فى بقية هذه الأَيام والليال ، ولا تغتروا بهذه الأَعمار القصيرة ، فإنها قريبة الزوال ،

واعلموا أَن هذه الليلة ليلة خمس وعشرين ، وقد روى في ذلك حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أَنه قال : « التمسوها » أَى ليلة القدر ، « فى تاسعة تبقى أَو فى خامسة » وفى رواية فى « تسع يبقين ، أَو سبع يبقين ، أَوخمس يبقين (١) .

قال مالك : أَرى - والله أَعلم - أَن التاسعة ليلة إِحدى وعشرين ، والسابعة ليلة ثلاث وعشرين ، والخامسة ليلة خمس وعشرين .

واعلموا رحمكم الله أَن شهر رمضان أَوله رحمة ، وأَوسطه مغفرة ، وآخره عتق من النار ، ولهذا ورد فى الحديث الصحيح أَنه تفتح فيه أَبواب الرحمة ، وفى الترمذى وغيره : إِنَّ للهِ عُتَقَاءَ مِنَ النَّارِ ، وذلك كل ليلة ، ولكن الأَغلب على أَوله الرحمة وهى للمحسنين المتقين .

---

(١) ونص إحدى الروايات : التمسوها فى العشر الأواخر : فى تسع تبقين ، أوسبع تبقين ، أو خمس تبقين ، أو ثلاث تبقين ، أو آخر ليلة » .
رواه أحمد ، والترمذى ، والحاكم ، والبيهقى فى شعب الإيمان عن أبى بكرة .

وقــال تعالى :

« إِنَّ رَحْمَةَ اللهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ » (١) .

وقــال تعالى :

ورحمتى وسعتْ كل شيءٍ فسأَكتبها للذين يتقون (٢)

فيفاض على المتقين فى أَول الشهر خلع الرحمة والرضوان ، ويعامل أَهل الإِحسان بالفضل والامتنان .

وأَما أَوسط الشهر فالأَغلب عليه المغفرة ، فيغفر فيه للصائمين ، وإِن ارتكبوا بعض الذنوب الصغار ، فلا يمنعهم ذلك المغفرة ، كما قال تعالى :

« وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ للناس على ظُلْمِهِمْ » (٣) .

وأَما آخر الشهر ، فيعتق فيه من النار من أَوبقته الأَوزار وفى حديث ابن عباس المرفوع .

لله فى كل ليلة من شهر رمضان عند الإِفطار أَلف أَلف عتيق من النار ، فإِذا كانت ليلة الجمعة [أَو يوم الجمعة] من شهر رمضان أَعتق الله فى كل ساعة أَلف أَلف عتيق من النار ، كلهم قد إستوجبوا النار ، فإِذا كان آخر

---

(١) سورة الأعراف ، الآية : ٥٦ .

(٢) سورة الأعراف ، الآية : ١٥٦ .

(٣) سورة الرعد ، الآية : ٦ .

ليلة من شهر رمضان أَعتق فى ذلك اليوم بعدد ما أَعتق من أَول الشهر إلى آخره » .

[أَخرجه شبير بن سلمة]

فبادروا رحمكم الله ما بقى من شهركم ، فإنه مغتنم ، واستدركوا ما فات منه بالحسرة والندم ، فمن أَصلح ما بقى واستدرك ما مضى نال الفوز وأَدرك الرضى ، ومن أَفسد بالمعاصى أَيام عَشْرِهِ : ندِمَ يومَ الأَخذ بالنواصى يوم حَشْرِهِ ، فيا مصلحا فى أَيام شهره الماضية : هذه العشر أَحْسَنُهَا ، ويا مجتهداً فيما خلا منه : هذه الايام أَزْيَنُهَا ، فبادر صحتك واغتنمها ، واحفظ مجاهدتك فى الطاعة والتزمها ، واعرف فضائل شهرك واعتلمها ، واجتهد فى صلاتك ، وتأَدب فى صومك ، كم أَنعمَ عليك مولاك نعماً بعد نعم ، وكم مَنَّ عليك بأَلطاف الرفق والكرم ، وكم مرضت فشفاك من ذلك الأَلم ، فاستدرك عمرك فقد بقى القليل ، وتيقظ للممات وتزود للرحيل ، وتب من ذنبك فإن ربك عطاؤه جزيل .

يروى عن ذى النون المصرى أَنه رأَى فى منامه حورية تقول :

أَتَخْطُبُ مِثْلِى وَعَنِّى تَنَامْ ؟
وَنَوْمُ الْمُحِبِّ عَلَيْهِ حَرَامْ
فَقُمْ فِى دُجَى اللَّيْل وَسْطَ الظَّلَامْ
بِقَلْب حَزِينٍ وَدَمْعٍ سِجَامْ
فَمِثْلِى يُزَفُّ إِلَىٰ عَابِد
كَثِيرِ الصِّيَام طَوِيلِ الْقِيَامْ

تَيَقَّظْ بِساعاتٍ مِنَ اللَّيْلِ يَا فَتَىٰ
لَعَلَّكَ تَحْظَىٰ فِى الجِنَانِ بِحُورهَا
فَتَنْعَمَ فِى دَارٍ يَدُومُ نَعِيمُهَا
مُحَمَّدُ فِيها وَالْخَلِيلُ بُدُورُها

قال كعب الأَحبار : ما من عبد يقوم من الليل فيتوضأُ ويصلى من الليل ركعتين إلا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أُمه .

قال بعض الصالحين : بينما أَنا سائر فى بعض جبال بيت المقدس إذ هبطت واديا ، وإذا برجل قائم بين شجرتين يردد : هذه الآية : يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْس مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْر مُحْضَرًا ،(١) الآية . فلم يزل يرددها

---

(١) سوره آل عمران ، الآية : ٣٠ .

حتى صاح ووقع مغشيا عليه ،ثم أفاق بعد ساعة وهو يقول : أعوذ بك من مقام الكذّابين ، أعوذ بك من أعمال البطالين ، أعوذ بك من إعراض الغافلين ، خشعت لك قلوب الخائفين ، وإليك رفعت أعمال المقصّرين ، ولعظمتك ذلت رقاب العارفين ، ثم نفض يديه وقال : مالى وللدنيا ، عليك يا دنيا بأبناءِ جنسك ، واللاهين فى نعمتك ، إلى محبيك اذهبى ، وإياهم فاخدعى . قال فناديته : يا عبد الله أنا منذ اليوم منتظر أن تفرغ لى ، فقال : كيف يتفرغ من يبادر الأوقات وتبادره ، ويخاف سبقها بالموت على نفسه ؟ أم كيف يتفرغ من ذهبت أيامه وبقيت آثامه ، ثم قرأ :

(وَبَدَالَهُم مِنَ اللهِ مَا لمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ) (١)

ثم صاح صيحة أشد من الأولى ،وخر مغشيا عليه ، فقلت قد خرجت روحه ، فدنوت منه ، فإذا هو يضطرب ، ثم أفاق وهو يقول : من أنا ، وما خاطرى ؟ هب لى إساءتى بفضلك ، وجللنى بسترك ، واعف عن ذنوبى بكرمك ، فقلت له بالذى ترجوه إلا ما كلمتنى؟ فقال : عليك بكلام من ينفعك كلامه ، ودع كلام

---

(١) سورة الزمر ، الآية : ٤٧ .

من أَوثقته آثامه ، إِنى لفى هذا الموضع ما شاء الله ، كأَنى أُجاهد إِبليس ويجاهدنى ، فلم يجد عوناً على ليخرجنى مما أنا فيه إلا بك ، إليك عنى ، فقد شَغَلْتَنِى ، ومالت إلى حديثِكَ شعبةٌ من قلبى

قال فانصرفت وتركته .

شمروا والله حتى وصلوا ، ووقفوا بالباب حتى قبلوا ، فطوبى لهم إذا وجدوا ما عملوا ، ما أَقل ما تعبوا ، وما أيسر ما نصبوا ، وما كان إلا القليل حتى نالوا ماطلبوا ، يا أَيها الراحل وما له رواحل ، متى تسمع قول العاذل ؟ هذا العدو ينصب الحبائل ، إلى كم ترضى باسم الجاهل ؟ كم تَعِدُ بالتوبة وكم تماطل ، وكم أَسمعك الموت وعيدك؟ فلم تنتبه حتى قطع وريدك ، ونقض منزلك وهدم مَشِيدَكْ ، ومزق مالك وفرق عبيدك ، وأَخلى دارك وملأَ بِيدَك ، (٢) أما رأَيت قرينك ؟ أَما أَبصرت فقيدك ؟ يا ميتا عن قليل مهد تمهيدك ، لقد أمرضك الهوى وفى عزمه أَن يزيدك ، أُفٍّ لعيش آخره الندامة ، آه من سفر بدايته القيامة ، هذا نذير الموت قد غدا ، يقول لكم

---

(١) البيد : جمع بيداء ، وهى : الفلاة الواسعة .

الرحيل غدا ، كيف بكم إذا صاح إسرافيل فى الصور بالصور (١) ؟ فخرجت تسعى من تحت المدر ، وقد رجت الأَرض ، وبست الجبال ، وشخصت الأَبصار لتلك الأَهوال ، وطارت الصحائف ، فقلق الخائف ، وشاب الصغار ، وزفرت النار ، وأَحاطت الأَوزار ، ونصب الصراط ، وحضر الحساب ، وقرب وشهد الكتاب ، وتقطعت الأَسباب ، فكم من شيخ يقول واشيبتاه ، وكم من كهل ينادى واخيبتاه ، وكم من شاب يصيح واشباباه ، برزت النار فأَحرقت ، وزفرت غضبا فمزقت ، وتقطعت الأَفئدة وتفرقت ، والأَحداق قدسالت ، والأَعناق قد مالت ، والأَلوان قد حالت ، والمحن قد توالت ، أَين عدتك لذلك الزمان ؟ أَين تصحيح اليقين والإيمان؟ أَترضى يومئذ بالخسران ؟ أَما تعلم أَنك كما تدين تدان ؟ يا من قد ملأَ كتابه بالقبيح ، وهو عن قليل رهن الضريح ، كم فى كتابك من زلل ، كم فى عملك من خلل ، هذا وقد قرب الأَجل ، كم ضيعت واجبا

(١) الصور : القرن الذى ينفخ فيه ، والصور : الصوت ، وصار الشيء : هده وأماله . والمقصود هنا : أن النفخ فى الصور يهدم العالم كله لقيام الناس لرب العالمين .

وفرضا ، ونقضت عهدا محكما نقضاً ، وأتيت حراما صريحا محضاً ، يا أجساداً صحاحاً فيها القلوب مرضى .

عباد الله : أطول الناس حزنًا فى الدنيا أكثرهم فرحا فى الآخرة ، وأشد الناس خوفاً فى الدنيا أكثرهم أمنا يوم القيامة .

يقول الله تعالى : « لا أَجمع على عبدى خوفين ، ولا أَجمع له أمنين ، إذا أَمننى فى الدنيا أَخفته يوم القيامة ، وإذا خافنى فى الدنيا أُمّنْتُهُ يوم القيامة »

عض أعرابى ولده فقال : أى بنى : إنه من خاف الموت بادر الفوت ، ومن لم يكشح نفسه عن الشهوات ، أسرعت به التبعات ، والجنة والنار أمامك .

يا دائم الخطايا والعصيان ، يا شديد البطر والطغيان ، ربح المتقون ولك الخسران .

وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ .

لو رأيت أَهل الزيغ والعناد ، وأَرباب المعاصى والفساد ، مقرنينَ فى الأَصفاد ، سرابيلهم من قَطِران .

وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانْ .

قد سُدّت فى وجوههم الأَبواب ، ونسيهم الأَهل والأَصحاب ، وغضب عليهم رب الأَرباب ، والنار شديدة الالتهاب ، والعذاب فيها أَلوان .

وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَان .

قد أَعرض عنهم الرحيم ، ومنعهم خيره الكريم ، يتقلبون فى الجحيم .

يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ — وَلِمَنْ خَافَ مقام ربه جنَّتان .

سعيرهم قد أَحرق ، وزمهر يرهم قد مزق ، ونور المتقين قد أَشرق .

« متكئين على فرش بطائنها من إستبرق وجنى الجنتين دان » .

أَيها العاصى قد اجتهدنا فى صلاحك ، وعرضنا فى التجارة لإِرباحك ، وأَنت على المعاصى فى مسائك وصباحك ، وبعدما نيأس من صلاحك .

« كلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْن » .

سيق والله القوم ، بكثرة الصلاة والصوم ، وإذا أقبل الليل حاربوا النوم ، يقومون بالليل إذا انطبقت أجفان الهاجع ، « تتجافى جنوبهم عن المضاجع » .

كن يا هذا رفيقهم ، ولج وإن شق مضيقهم ، واسلك ولو يوما طريقهم ، فالطريق واسع ، « تتجافى جنوبهم عن المضاجع » .

اهجر بالنهار طيب الطعام ، ودع فى الدجى لذيذ المنام ، وقل لأغراض النفس سلام .

والله يدعو إلى دار السلام ، فما يُقعد السامع ؟ تتجافى جنوبهم عن المضاجع .

اللهم يا من فتح بابه للطالبين ، وأظهر غناه للراغبين انظمنا فى سلك حزبك المفلحين ، واجعلنا من عبادك المخلصين .وآمنا يوم الفزع الأكبر يوم الدين .واحشرنا مع الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين ، الأحياء منهم والميتين ، برحمتك يا أرحم الراحمين .

المجلس السادس

فى فضل قيام الليل

الحمد لله المتفرد بالقِدم والبقاءِ ، والعظمة والكبرياءِ ، والعز الذى لايُرام ، الواحد الأَحد ، الفرد الصمد ، الغنى بذاته عن جميع مخلوقاته .

أَحمده على جميع نعمه الوافرة الجسام ، وأَشكره وأَسأَله حفظ نعمة الإِسلام .

وأَشهد أَن لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، عز من اعتز به فلا يضام ، وذل من تكبر عن أَمره ولقى الآثام ، وأَشهد أَن نبينا محمداً عبده ورسوله الذى بيّن الحلال والحرام .

صلى الله عليه وعلى أَصحابه أَبى بكر وعمر وعثمان وعلى الكرام ، وعلى جميع الصحابة والتابعين لهم على الإِيمان والإِسلام ، صلاة دائمة إلى يوم العرض والمقام ، وسلم تسلما .

قال الله تعالى : (كَانُوا قليلًا من الليل ما يهجعون. وبالأَسحار هم يستغفرون) (١) وقال تعالى : (والذين

---

(١) سورة الذاريات ، الآيتان : ١٧ و ١٨ .

يبيتون لربهم سجدا وقياما) (١) وقال تعالى : (تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون . فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاءًا بما كانوا يعملون) (٢) .

وفى صحيح البخارى عن النبى ﷺ قال :

(يَنْزِلُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ فَيَقُولُ : مَنْ يَدْعُونى فَأَسْتَجِيبَ لَهُ مَنْ يَسْأَلُنِى فَأُعْطِيَهُ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِى فَأَغْفِرَ لهُ »

وفى مسند الإمام أحمد عن ابن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

(إِذَا كَانَ ثُلُثُ اللَّيْلِ الْبَاقى يَهْبِطُ اللهُ إلى السَّماءِ الدُّنْيَا ، ثُم تُفْتَحُ أَبْوابُ السَّمَاءِ حَتَّى يَطْلُعَ الْفَجْرُ) .

وعن أَبى ذر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

يَا أَبَا ذَرٍّ، لَوْ أَرَدْتَ سَفَرًا لَأَعْدَدْتَ لَهُ عُدَّةً فَكَيْفَ

---

(١) سورة الفرقان ، الآية : ٦٤ .

(٢) سورة السجدة ، الآيتان : ١٦ و ١٧ .

بِسَفَرٍ طَرِيقِ الْقِيَامَةِ أَلاَ أُنَبِّئُكَ يَا أَبَا ذَرٍّ بِمَا يَنْفَعُكَ ذَلِكَ الْيَوْمَ ؟ قُلْتُ : بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ ؟ قَالَ : صُمْ يَوْماً شَدِيداً حَرُّهُ لِيَوْمِ النُّشُورِ ، وَصَلِّ رَكْعَتَيْنِ فِى ظُلْمَةِ اللَّيْلِ لِوَحْشَةِ الْقُبُورِ » .

وروى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لأبى هريرة :

« يا أَبَا هُرَيْرَةَ أَتُرِيدُ أَنْ تَكُونَ رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْكَ حَيًّا وَمَيِّتًا وَمَقْبُوراً وَمَبْعُوثاً . فَقُمْ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلِّ وَأَنْتَ تُرِيدُ رَبَّكَ ، يَا أَبَا هُرَيْرَةَ صَلِّ فِى زَوَايَا بَيْتِكَ يَكُونُ نُورُ بَيْتِكَ فِى السَّماءِ كَنُورِ الْكَوَاكِبِ وَالنُّجُومِ عِنْدَ أَهْلِ الأَرْضِ » .

وجاء عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : (مَنْ كَثُرَتْ صَلاَتُهُ فِى اللَّيْلِ حَسُنَ وَجْهُهُ بِالنَّهَارِ) .

وقيل : ما بال المتهجدين أحسن الناس وجوهاً .

قال : « لأنهم خَلَوْا بالرحمن فألبسهم من نوره)

وقال كعب : إن الملائكة ينظرون من السماء الدنيا إلى الذين يصلون بالليل فى بيوتهم كما تنظرون أنتم إلى النجوم فى السماء .

عباد الله : أَلا طالب لفضل ربه ؟ أَلا راغب لوصله ؟ أَلا مجد لقصده ؟

انتبه يا راقد من رقدتك ، وأَفق من سكرتك ، وتيقظ من غفلتك ، فياخيبة من لم يفز من ربه بحبه وقربه .

أَين أَرباب القيام ؟

أَين المتهجدون فى جنح الظلام ؟

ذهبوا إِلَّا قليلًا ، فعليهم السلام .

روى أَن الله تبارك الله وتعالى أَوحى إِلى داود عليه السلام (يَا دَاوُدُ كَذَّابٌ مَن ادَّعى مَحَبَّتِى وَإِذَا جَنَّ اللَّيْل نَامَ عَنِّى ، أَلَيْسَ كُلَّ مُحِبٍّ يُحِبُّ الْخَلْوَةَ مَعَ مَحْبُوبِهِ فَهَا أَنَا مُطَّلِعٌ عَلَىٰ أَحْبَابِى أَرَىٰ تَضَرُّعَهُمْ ، وَأَسْمَعُ أَنِينَهُمْ وَأَنْظُرُ إِلَيْهِمْ .

يَا دَاوُدُ : وَعِزَتِى وَجَلَالى مَا تَقَرَّبَ الْمُتَقَرِّبُونَ إِلَىَّ بَعْدَ الْفَرَائِضِ بِأَحْسَنَ مِنْ صَلاةِ اللَّيْل .

يَا دَوُدُ صَلَاةُ اللَّيْل نُورٌ عَلَى وَجْهِ صَاحِبِها يَوْمَ الْقِيَامَةِ

إِنَّ اللَّيْلَ لِحَافُ الْخَائِفِينَ ، وَلَذَّةُ الْمُتَعَبِّدِينَ وَأُنْسُ الطَّائِعِينَ .

يَا دَاوُدُ : وَعِزَّتِي وَجَلَالِى مَا مِنْ عَبْد هَجَرَ عُرْسَهُ وَفِرَاشَهُ وَسَارَعَ إِلى رِضَائِى إِلَّا عَوَّضْتُه فِى الْجَنَّةِ أَلَذَّ مِنْ دُنْيَاهُ سَبْعِينَ ضِعْفًا) .

وروى عن يحيي بن زكريا عليهما السلام أَنه شبع ليلة من خبز الشعير ، فنام عن ورده تلك الليلة ، فأَوحى الله إليه (يَا يَحْيَى هَلْ وَجَدْتَ دَاراً خَيْرًا مِنْ دَارِى ؟ أَوْ جِوَاراً خَيْرًا مِنْ جِوَارِى ؟ وَعِزَّتِى وَجَلَالِى يَا يَحْيٰى لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَىٰ الْفِرْدَوْسِ اطِّلَاعَةً لَذَابَ جِسْمُكَ وَلَزَهقَتْ نَفْسُكَ . وَلَوِ اطَّلَعْتَ عَلَىٰ جَهَنَّمَ اطِّلَاعَةً لَبَكَيْتَ الصَّدِيدَ بَعْدَ الدُّمُوعِ ، وَلَبِسْتَ الْحَدِيدَ من بَعْدَ الْمُسُوحِ) .

روى أَن سفيان الثورى شبع ذات ليلة ، فقام يصلى إلى الصباح وقال : الحمار إذا زيد فى علفه زيد فى عمله

وكان طاوُس اليمانى يفرش فراشه فيتقلب عليه كما تقلب الحية فى المقلى ، ثم يقوم فيدرجه ، فيقوم إلى الصباح ويقول : ذكر جهنم أطار نوم العابدين .

وكان عبد العزيز بن أَبى رواد يأتى فراشه بالليل فيمد يده عليه ، ويقول : إنك والله للين ، وفراش الجنة أَلين منك فيدرج فراشه ويقوم يصلى الليل كله .

وكان الفضيل بن عياض يقول : إذا لم تقدر على صيام النهار وقيام الليل ، فاعلم أَنك مكبل ، قد كبلتك خطيئتك .

وقال الحسن : إن الرجل ليحرمُ قيام الليل بالذنب يصيبه .وروى أَن الله تبارك وتعالى يقول لجبريل : أَقم فلانا فإنى أُحبه ، وأَنم فلانا فإنى أَبغضه .

وقال بعض السلف : بلغنى أَنه إذا قام الرجل من الليل إلى الصلاة ضحك الله إليه ، وقال للملائكة : ماحمل عبدى على أَن قام يصلى من الليل من بين أَهل وده ؟ فيقولون : يارب ، خوفته أَمراً فخافه ، ورجّيته أَمراً فرجاه ، فيقول سبحانه وتعالى : أَشهدكم أَنى قد أَعطيته مايرجو ، وأَمّنْتُهُ مما يخاف) .

وعن مالك ابن دينار قال : إن لى ورداً أَقرأُه كل ليلة ، فغفلت ذات ليلة عنه فلم أَقرأْه ، فرأَيت فى منامى جارية كأَحسن مايكون ، فى يدها رقعة ، فقالت :

أَتحسن تقرأُ ؟ فقلت : نعم . فدفعتها إِلَيَّ ، فإذا فيها هذه الأَبيات :

أَ أَلْهَتْكَ اللَّذَائِذُ وَالْأَمَانِى
عَنِ الْبِيضِ الْحِسَانِ فِى الْجِنَانِ
تَعِشْ مُنَعَّمًا لَا مَوْتَ فِيهَا
وَتَلْهُو فِى الْجِنَانِ مَعَ الْحِسَانِ
تَنَبَّهْ مِنْ مَنَامِكَ إِنَّ خَيْرًا
مِنَ النَّوْمِ التَّهَجُّدُ بالقُرآنِ

وروى أَن العبد إِذا قام إِلى الصلاة [يعنى صلاة الليل] تقول الملائكة : قد قام الخاطب إِلى خطبته ، تعنى الحور العين .

الخلق هجوع ، وهم بين يديه ركوع ، الخلق نيام وهم بين يديه قيام ، الخلق قعودوهم بين يديه سجود ، كانت أَقدام القوم فى الدجى قائمة ، وأَعينهم فى جوف الليل ساهرة لانائمة ، وقلوبهم على الطاعة عازمة ، وهذه أَفعال النفوس العازمة ، فوجبت لهم نجاة قطعية جازمة ، « وجوه يومئذ ناعمة » .

وجوه طالما غسلتها الدموع ، وجوه طالما أذلَّها الخشوع ، وجوه ظهر عليها الإصفرار من الجوع ، خاطرت فى المهالك ، فأَصبحت سالمة .

« وجوه يومئذ ناعمــة » .

عبادَ اللهِ جِدّوا بالأَعمال الصالحة قبل نزول الموت فقد جاءتكم النذر .

وَرَد فى الحديث « أنَّ بَعْضَ الأَنْبياءِ قَالَ لِمَلَكِ الْمَوْتِ : أَمَا لَكَ رَسُولٌ تُقَدِّمُهُ بَيْنَ يَدَيْكَ لِيَكُونَ النَّاسُ عَلَىٰ حَذَرٍ مِنْكَ ؟ فَقَالَ : نَعَمْ ، وَاللهِ لى رُسُلٌ كَثِيرَةٌ مِنَ الْعِلَلِ وَالْأَمْرَاضِ وَالشَّيْبِ وَالْهِرَمِ وَنقْصِ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ ، فَإِذَا لَمْ يَتَفكَّرْ مَنْ نَزَلَ بِهِ ذَلِكَ فِى الْمَوْتِ ، وَلَمْ يَتُبْ وَلَمْ يَحْصُلِ الزَّادَ نَادَيْتُهُ عِنْدَ قَبْضِ رُوحِهِ : أَلَمْ أُقَدِّمْ إِلَيْكَ رَسُولًا بَعْدَ رَسُولٍ ، وَنَذِيراً بَعْدَ نَذِيرٍ ؟ فَأَنَا الرَّسُولُ الَّذِى لَيْسَ بَعْدِى رَسُولٌ ، وَأَنَا النَّذِيرُ الَّذِى لَيْسَ بَعْدِى نَذِيرٌ » .

وفى الحديث أَيضاً : مَا مِنْ يَوْم تَطْلُعُ شَمْسُهُ إِلَّا وَمَلَكُ الْمَوْتِ يُنَادِى : أَبْنَاءَ الْأَرْبَعِينَ : هَذَا وَقْتُ أَخْذِ الزَّادِ ، أَذْهَانُكُمْ حَاضِرَةٌ ، وَأَعْضَاؤُكُمْ قَوِيَّةٌ شَدِيدَةٌ .

يَا أَبْنَاءَ الْخَمْسِينَ قَدْ دَنَا الْأَخْذُ وَالْحَصَادُ . يَا أَبْنَاءَ السِّتِّين قَدْ نَسِيتُمُ الْعِقَابَ وَسُوءَ الْحِسَابِ ، (أَوَ لَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّر وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ) (١)

[ذكره ابن الجوزى رحمه الله]

وفى البخارى مرفوعاً : « أَعْذَرَ اللهُ إِلَىٰ أَمْرِءٍ أَخَّرَ أَجَلَهُ حَتَّى بَلَغَ سِتِّينَ سَنَةً » ، الحديث .

ولا يصلح لمن بلغ ستين سنة أن يلهو ويلعب .

وكان الطبرى رحمه الله يقول : النذير فى هذه الآية هو الشيب .

وروى : إِنَّ اللهَ تَعَالَى يَنْظُرُ فِى وَجْهِ الشَّيْخ كُلَّ يَوْم خَمْسِينَ مَرَّةً ، فَيَقُولُ : يَا بْنَ آدَمَ كَبِرَ سِنُّكَ ، وَوَهَنَ عَظْمُكَ ، وَاقْتَرَبَ أَجَلُكَ ، فَاسْتَحِ مِنِّى كَمَا أَسْتَحِي مِنْكَ ، فَإِنِّى أَسْتَحِي أَنْ أُعَذِّبَ ذَا شَيْبَةٍ » .

فرحم الله من اغتنم فى بقية عمره الأعمال الصالحة ، وأقبل على ربه فى معاملته ، وأخلص له فى صيامه وصلاته ، وأقبل فيها إلى ربه عز وجل ، خاشعاً ،

(١) سورة فاطر ، الآية : ٣٧ .

خاضعاً ، ذليلًا لله عز وجل ، خائفاً ، داعياً ، وجلًا ، مشفقاً ، راجيا ، وجعل أكثر همه فى صيامه وصلاته ومناجاته إياه وانتصابه بين يديه قائماً وقاعداً ، وراكعاً وساجداً ، وفرّغ لذلك قلبه وثمرة فؤاده ، واجتهد فى أداءِ فرائضه ، فإنه لا يدرى : هل يصوم غير يومه الذى هو فيه ، أَو يصلى صلاة غير التى هو فيها ، أَو يعاجَلُ قبل ذلك ، فقام بين يدى ربه محزوناً مشفقاً ، يرجو قبول أَعماله ويخاف ردها ، إن قبلها سَعِدَ ، وإن ردّها شَقِىَ .

فما أَعظم خطرك يا أَخى فى صيامك وصلاتك وفى غيرهما من عملك .

ما أَولاك فى الهم والحزن والخوف والوجل فيهما وفيما افترض الله عليك ، لأَنك لاندرى هل تُقَبِّلَ منك قط صوماً أَو صَلاة أَم لا ، ولا تدرى هل تقبل منك حسنة قط أَم لا ، وهل غفر لك سيئة قط أَم لا ! ثم أَنت مع هذا تضحك وتغفل ، أَوينفعك العيش وقد جاءَك اليقين أَنك واردُ النارَ ، ولم يأَتك اليقين أَنك صادرٌ عنها ؟ فمن أَحق بطول البكاءِ وطول الحزن منك حتى يتقبل الله منك ، ثم مع هذا : لاتدرى لعلك لاتصبح إذا أَمسيت، ولا تمسى إذا أَصبحت ، فمبشِّرٌ بالجنة أَو مبشَّر بالنار .

إنما ذكرتك يا أخى لهذا الخطر العظيم ، إنك لمحقوق أَن لاتفرح بأَهل ولا ولد ولامال . وإِن العجب كل العجب من طول غفلتك ولهوك . وطول سهوك عن هذا الأَمر العظيم . وأَنت تساق سوقاً عنيفاً فى كل يوم وليلة ، وفى كل ساعة وطرفة عين ، فتوقع يا أَخى أَجلك ، ولا تغفل عن هذا الأَمر العظيم الذى قد أَضلك ، لأَنك لابد ذائقٌ الموتَ ولاقيه ، ولعله ينزل بساحتك فى صَباحك أَو مسائك أَيسر ما تكون على الدنيا إقبالا ، فكأُنك قد أُخرجت من ذلك كله فسلبته ، فإما إلى الجنة وإما إلى النار ، انقطعت الصفات ، وقصرت الحكايات عن بلوغ صفتهما ومعرفة قدرهما ، والإِحاطة بغاية خبرهما ، أَما سمعت يا أَخى قول العبد الصالح : عجبت للنار كيف ينام هاربها ؟ وعجبت للجنة كيف ينام طالبها ،؟ فوالله لئن كنت خارجاً من الهرب والطلب ، لقد هلكت وعظم شقاؤك ، وطال حزنك وبكاؤك غدا مع الأَشقياءِ المعذبين ، ولئن كنت تزعم أَنك هارب طالب ، وأَنت قاعد متكاسل على قدر ما أَنت عليه من عظم هذا الخطر ، فلا تغرّنك الأَمانى .

عباد الله إن عشركم قد أَذنت بالرحيل ولم يبق منها إلا القليل ، فودّعوها بالتوبة والإقبال تربحو عند الملك المتعال ، ويجزل لكم الثواب والإفضال ، ويسكنكم الجنة دار السلام (١) ... دار ليس فيها ما يشينها . . . دارلا يفنى منها ما يزينها .. دار لايزول عزها وتمكينها.. دار أَشرقت حلاها . . دار جل من بناها . . دار طلب للأَبرار سكناها . . . دار تبلغ النفوس فيها مناها . . دار أَين خاطبوها فقد وصفناها . . سكانها قد أمنوا مما يخافون .

اللهم إنا نسأَلك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل ، ونعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول وعمل .

اللهم ارحمنا فإنا تائبين إليك فى هذه الساعة ، وتعطَّف على يَدٍ امتدت إليك بالذل والضراعة .

---

(١) القرار والأمان .

الهم أَيقظنا من نوم الغفلة ، ونبهنا لاغتنام أَوقات المُهلـة

اللهم وفقنا لمصالحنا ، واعصمنا من ذنوبنا وقبائحنا ، ولتعمل فى طاعتك جميع جوارحنا ، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين .

وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين .

المجلس السابع

فى فضل ليلة سبع وعشرين من رمضان

الحمد لله عالم السر والجهر ، وقاصم الجبابرة بالعز والقهر ، محصى قطرات الماء وهو يجرى فى النهر ، موفر الثواب للأَحباب ، ومكمل الأَجر ، سبحانه العظيم القهر ، أَحمده حمداً لامنتهى لعده .

وأَشهد بتوحيده شهادة مخلص فى معتقده .

وأَشهد أَن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، الذى نبع الماءَ بين أَصابع يده ، صلى الله عليه وعلى أَبى بكر وعمر وعثمان وعلى ، وعلى سائر آله وأَصحابه ، المحسن كل منهم فى مقصده وسلم تسليما .

عباد الله : هذه الليلة هى ليلة سبع وعشرين ، وقد قال كثير من العلماءِ هى ليلة القدر ، لما روى الإِمام أَحمد فى المسند عن ابن عباس رضى الله عنهما أَن رجلًا قال : يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّى شَيْخٌ كَبِيرٌ فَيَشُقُّ عَلَىَّ الْقِيَامُ فَمُرْنِى بِلَيْلَةَ يُوَفِّقنِى اللهُ فِيهَا لِلَيْلَةِ الْقَدْرِ . قَالَ : عَلَيْكَ بِالسَّابِعَةِ وَالْعِشْرِينَ .

وروى أيضاً عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ كَانَ مُتَحَرِّيهَا فَلْيَتَحَرَّهَا لَيْلَةَ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ » (١)

[أَوْ قَالَ : تَحَرَّوْهَا لَيْلَةَ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ] يعنى ليلة القدر .

وروى حماد بن زيد عن أيوب عن نافع عن ابن عمر رضى الله عنهم قال : لا يزالون يرون على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أنها الليلة السابعة من العشر الأواخر (٢) . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أَرَى رُؤْيَاكُمْ أَنَّهَا قَدْ تَوَاطَأَتْ أَنَّهَا اللَّيْلَةُ السَّابِعَةُ مِنَ الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ ، فَمَنْ كَانَ مُتَحَرِّيهَا فَلْيَتَحَرَّهَا لَيْلَةَ السَّابِعَةِ مِنَ الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ » .

وممن كان يقول بذلك أُبَىُّ بن كعب ، وكان يحلف عليه ولا يستثنى ، وحكاه سفيان الثورى عن أهل الكوفة فقال : نحن نقول : هى ليلة سبع وعشرين لما

---

(١) وروى الإمام أحمد عن ابن عمر : « تحروا ليلة القدر ، فمن كان متحريها فليتحرها فى ليلة سبع وعشرين » .

(٢) يقول عليه الصلاة والسلام : تحروا ليلة القدر فى العشر الأواخر من رمضان » متفق عليه ، ورواه الإمام أحمد والترمذى عن السيدة عائشة رضى الله عنها .

جاءَنا عن أُبَىٍّ بن كعب . وقد تقدم عنه صلى الله عليه وسلم أَنه قال :

« مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ (١) ، وفى لفظ آخر : « وَمَا تَأَخَّرَ » .

فينبغى أَن يجتهد ويبادر عمره بالاجتهاد ، فقدر عمله يزيد جزاؤه ، وعلى قدر تقصيره يقل عطاؤه ، فمن أَحسن فلنفسه ، ومن أَساءَ فعليها ، فلايطمعن البطَّال فى ثواب العمال ومقام الأَبطال ، ولا الجاهل فى ثواب العاقل .

قال الله تعالى :

« أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَواءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (٢)

وقد روى عن أَبى هريرة رضى الله عنه أَن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « مَا مِنْ مَيِّت مَاتَ إِلَّا نَدِمَ

---

(١) رواه البخارى ومسلم وأبو داود عن أبى هريرة .
(٢) سورة الجاثية ، الآية : ٢١ .

إِنْ كَانَ مُحْسِناً نَدِمَ أَنْ لَا يَكُونَ ازْدَادَ إِحْسَاناً ، وَإِنْ كَانَ مُسِيئاً نَدِمَ أَنْ لَا يَكُونَ اسْتَعْتَبَ » .

إذا كان المحسن يندم على ترك الزيادة ، فكيف يكون حال المسىء ؟ فقد ورد أَن الموتى يتحسرون على زيادة أَعمالهم بتسبيحة أَو ركعة .

واعلموا رحمكم الله أَن الأَعمال بالخواتيم ، فمن أَصلح فيما بقى غفر له ما مضى ، ومن أَساءَ فيما بقى أُخذ بما بقى وبما مضى .

وفى المسند عن أَبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أَنه قال : « إِنَّ فِى هَذَا الشَّهْرِ لَيْلَةً خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْر ، مَنْ حُرِمَ خَيْرَهَا فَقَدْ حُرِمَ » .

المبادرة إلى اغتنام العمل فى هذه الليلة الشريفة ، ومابقى من الشهر فى بقية العمر ، فإِن ذلك غنيمة ، فعسى نستدرك به ما فات وضاع من العمر ... تولى العمر فى سهو وفى لهو وفى خسرِ ... فيا ضيعة ما أَنفقت فى الأَيام من عمرى . . . ومالى فى الذى ضيعت من عمرى من عذر...

أَما قد خصنا الله بشهر أَيما شهر ... بشهر أَنزل الرحمة

فيه أشرف الذكر ... وهل يشبهه شهر وفيه ليلة القدر... ففيها تنزل الأملاك والأنوار والبر... وقد قال : سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلِعِ الْفَجْرِ ... ألا فادخروها فإنها من أعظم الذخر... فكم من معتق فيها من النار وهو لايدرى .

عباد الله إن شهر رمضان مضمار السابقين وغنيمة الصادقين ، فيه تضاعف الأعمال وتحط الأوزار الثقال ، وفيه يجاب السؤال ويغفر للمستغفر ويقال (١) فهو غُرَّةُ الدهر ومصباح الشهور ، ثم فيه ليلة القدر التى جعل الله عبادتها خيراً من عبادة ألف شهر . وروى فى الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أراه الله أعمار الناس قبله ، فكأنه تقاصر أعمار أمته أن لايبلغوا من العمل مثل الذى بلغ غيرهم فى طول العمر ، فأعطاه الله تعالى ليلة القدر خيراً من ألف شهر .

قال ابن عباس رضى الله عنهما :

إِذَا كَانَ لَيْلَةُ الْقَدْرِ أَمَرَ اللهُ تَعَالَىٰ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنْ يَنْزِلَ إِلَىٰ الْأَرْضِ ، فَيَنْزِلُ وَمَعَهُ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ مَكَانَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى وَمَعَهُمْ أَلْوِيَةٌ مِنْ النُّورِ ، فَيَرْكِزُونَ

(١) من الإقالة لا من القول يقال : أقال الله عثرته إذا كبا : أى أخذ بيده ونجاه .

أَلْوِيَتَهُمْ فِى الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ، وَيُرْكَزُ لِجِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلامُ لَوَاءٌ أَخْضَرُ عَلَىٰ ظَهْرِ الْكَعْبَةِ ، ثُمَّ تَتَفَرَّقُ الْمَلَائِكَةُ فِى أَقْطَارِ الْأَرْضِ ، فَيَدْخُلُونَ عَلَىٰ كُلِّ مُسْلِم يَجِدُونَهُ فِى صَلَاة أَوْ ذِكْر ، وَيُسَلِّمُونَ عَلَيْهِ وَيُصَافِحُونَهُ ، وَيُؤَمِّنُونَ عَلَىٰ دُعَائِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِجَمِيع أُمَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمُسْلِمِينَ ، وَيَدْعُونَ لَهُمْ ، حَتَّى يطْلُعَ الفَجْرُ » .

وقال الحافظ المنذرى (٢) : وروى عن ابن عباس أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إِنَّ الْجَنْةَ لَتُجَدَّدُ فَتَزَيَّنُ مِنَ الْحَوْل إِلَىٰ الْحَوْلِ لِدُخُولِ شَهْرِ رَمَضَانَ ، فَإِذَا كَانَ أَوَّلُ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ هَبَّتْ رِيحٌ مِنْ تَحْتِ الْعَرْشِ يُقَالُ لَهَا الْمُثِيرَةُ فَتَصَفِّقُ وَرَقَ أَشْجَارِ الْجَنَّةِ وَحِلَقَ الْمَصَارِيعِ ، فَيُسْمَعُ لِذَلِكَ طَنِينٌ لَمْ يَسْمَع السَّامِعُونَ أَحْسَنَ مِنْهُ ، فَتَبْرُزُ الْحُورُ الْعِينُ حَتَّىٰ يَقِفْنَ بَيْنَ شُرَفِ الْجَنَّةِ فَيُنَادِينَ : هَلْ مِنْ خَاطِبٍ إِلَىٰ اللهِ فَيُزَوِّجَهُ ؟ ثُمَّ تَقُولُ الْحُورُ الْعِينُ : يَا رِضْوَان الْجَنَّة : مَاهَذِهِ اللَّيْلَةُ ، فَيُجِيبُهُنَّ

---

(١) هو الحافظ المحدث عبد العظيم المنذرى صاحب الترغيب والترهيب .

بِالتَّلْبِيَةِ ، ثُمَّ يَقُولُ : هَذِهِ أَوَّلُ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ فُتِحَتْ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ عَلى الصَّائمين مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم .

قَالَ : وَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : يَارِضْوَانُ افْتَحْ أَبْوَابَ الْجِنَانِ ، وَيَا مَالِكُ أَغْلِقْ أَبْوابَ الْجَحِيمِ عَلَى الصَّائِمِينَ مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَيَا جِبْرِيلُ اهْبطْ إِلَى الْأَرْضِ فَصَفِّدْ مَرَدَةَ الشَّيَاطِين وَغُلَّهُمْ بالْأَغْلَال ، ثُمَّ اقْذِفْهُمْ فِى الْبِحَارِ حَتَّى لَايُفْسِدُوا عَلَى أُمَّةِ مُحَمَّدٍ صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صِيَامَهُمْ .

قَالَ : « وَيَقُولُ اللهُ تعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ لِمُنَادٍ يُنَادِى ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ... هَلْ مِنْ سَائِلٍ فَأُعْطِيَهُ سُؤْلَهُ هَلْ مِنْ تَائِب فَأَتُوبَ عَلَيْهِ ... هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ فَأَغْفِرَ لَهُ .. مَنْ يُقْرِضُ المِلِيَّ غَيرَ المعدُوم ... وَالْوِفِيَّ غَيْرَ الْظَّلُوم ..

قَالَ : وَللهِ عَزَّ وَجَلَّ فِى كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَان عِنْدَ الْإِفْطَارِ أَلْفُ عَتِيقٍ مِنَ النَّارِ ، كُلُّهُمْ قَدِ اسْتَوْجَبُوا النَّارَ ، فَإِذَا كَانَ آخِرُ يَوْمٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ أَعْتَقَ اللهُ فِى ذَلِكَ الْيَوْمِ بِقَدْر مَا أَعْتَقَ فِى أَوَّلِ الشَّهْرِ إِلَى آخِرِهِ ،

وَإِذَا كَانَتْ لَيْلَةُ الْقَدْرِ يَأْمُرُ اللهُ جِبْرِيلَ فَيَهْبِطُ فِى كَوْكَبَةٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ ، وَمَعَهُمْ لِوَاءٌ أَخْضَرُ فَيَرْكِزُوا اللِّوَاءَ عَلَى ظَهْرِ الْكَعْبَةِ وَلَهُ مِائَةُ جَنَاحٍ ، مِنْهَا جَنَاحَانِ لَا يَنْشُرُهُمَا إِلَّا فِى تِلْكَ اللَّيْلَةِ ، فَيَنْشُرُهُما فِى تِلْكَ اللَّيْلَةِ فَيُجَاوِزُ الْمَشْرِقَ إِلَىٰ الْمَغْرِبِ فَيَحُثُّ جِبْرِيلُ الْمَلائِكَةِ فِى هَذِهِ اللَّيْلَةِ فَيُسَلِّمُونَ عَلَىٰ كُلِّ قَائِمٍ ، وَقَاعِدٍ وَمُصَلٍّ وَذَاكِرٍ ، وَيُصَافِحُونَهُمْ وَيُؤَمِّنُونَ عَلَىٰ دُعَائِهِمْ حَتَّى يَطْلُعَ الْفَجْرُ ، فَإِذَا طَلَعَ الْفَجْرُ يُنَادِى جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : مَعَاشِرَ الْمَلَائِكَةِ : الرَّحِيلَ الرَّحِيلَ ،فَيَقُولُونَ :يَاجِبْرِيلُ فَمَا صَنَعَ اللهُ فِى حَوَائِجِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَيَقُولُ : نَظَرُ اللهُ إِلَيْهِمْ فِى هَذِهِ اللَّيْلَةِ فَعَفَىٰ عَنْهُمْ ، إِلَّا أَرْبَعَةً ، فَقُلْنَا يَا رَسُولِ اللهِ مَنْ هُم ؟ قَالَ : رَجُلٌ مُدْمِنُ خَمْرٍ ، وَعَاقٌ لِوَالِدَيْهِ ، وَقَاطِعُ رَحِمٍ ، وَمُشَاحِنٌ ، قُلْنَا يَا رَسُولَ اللهِ :مَن الْمُشَاحِنُ ؟ قَالَ : هُوَ الْمُصَارِمُ . فَإِذَا كَانَتْ لَيْلَةُ الْفِطْرِ سُمِّيَتْ تِلْكَ اللَّيْلَةُ : لَيْلَةَ الْجَائِزَةِ ، فَإِذَا كَانَتْ غَدَاةُ الْفِطْرِ بَعَثَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ الْمَلَائِكَةَ فِى كُلِّ الْبِلَادِ ، فَيَهْبِطُونَ إِلَىٰ الْأَرْضِ فَيَقُومُونَ

عَلَى أَفْوَاهِ السِّكَكِ فَيُنَادُونَ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ خَلْقُ اللهِ إِلَّا الْجِنُّ وَالْإِنْسُ ، فَيَقُولُونَ : أَخْرُجُوا إِلَىٰ رَبٍّ كَرِيم ، يُعْطِى الْجَزِيلَ وَيَعْفُو عَنِ الذَّنْبِ الْعَظِيمِ ، فَإِذَا بَرَزُوا إِلَىٰ مُصَلَّاهُمْ يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لِلْمَلائِكَةِ : مَا جَزَاءُ الْأَجِيرِ إِذا عمِلَ عَمَلَهُ ؟ قَالَ : فَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ : إِلَهنا وَسَيِّدَنَا ، جَزَاؤُه أَنْ تُوَفِّيَهُ أَجْرَهُ . قَالَ : فَيَقُولُ : فَإِنِّى أُشْهِدُكُمْ يا مَلَائِكَتِى أَنِّى قَدْ جَعَلْتُ ثَوابَهُمْ مِنْ صِيَامِهِمْ رِضَائِى وَمَغْفِرَتِى . وَيَقُولُ : يَا عِبَادِى سَلُونِى ، فَوَعِزَّتِى وَجَلَالِى لَا تَسْأَلُونِى الْيَوْمَ شَيْئًا فِى جَمْعِكُمْ لآخِرَتِكُمْ إِلَّا أَعْطَيْتُكُمْ ، وَلَا لِدُنْيَاكُمْ إِلَّا نَظَرْتُ لَكُمْ ، فَوَعِزَّتِى لَأَسْتُرَنَّ عَلَيْكُمْ عَثَرَاتِكُمْ مَا رَاقَبْتُمُونِى ، وَعِزَّتِى وَجَلَالِى لَا أَفْضَحُكُم وَلَا أُخْزِيكُمْ بَيْنَ أَصْحَابِ الْحُدُودِ ، انْصَرِفُوا مَغْفُوراً لَكُمْ ، قَدْ أَرْضَيْتُمُونِى ، وَرَضِيتُ عَنْكُمْ ، فَتَفْرَحُ الْمَلَائِكَةُ ، وَتَسْتَبْشِرُ بِمَا يُعْطِى اللهُ هَذِهِ الْأُمَّةَ إِذَا فَطَرُوا مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ » .

[رواه ابن حبان والبيهقى واللفظ . وليس فى إسناده من أجمع على ضعفه] .

كان بعض الصالحين كثير التهجد والصيام ، فصلى

ليلة ودعا ، فغلبته عيناه فنام ، فرأى فى منامه جماعة علم أَنهم ليسوا من الآدميين ، بأَيديهم أَطباق عليها أَرغفة كبياض الثلج ، فوق كل رغيف در أَمثال الرمان ، فقالوا : كلْ . فقلت : إِنى أُريد الصوم . قالوا : يأمرك صاحب هذا البيت أَن تأكل . قال فأكلت وجعلت آخذ ذلك الدر لأَحمله ، فقالوا له : دعه نغرسه لك شجراً ينبت لك خيراً من هذا ، قال : أَين ؟ قالوا : فى دار لاتخرب ، وثمر لايتغير ، وملك لا ينقطع ، وثياب لاتبلى فيها [رضاً وقرة عين] أَزواج راضيات ومرضيات لا يفرن ولا يغرن ، فعليك بالانكماش فيما أَنت فيه ، فإِنما هى غفوة حتى ترتحل فتنزل الدار ، فما مكث بعد هذه الرؤيا إِلَّا جمعتين حتى مات ، فرآه ليلة وفاته بعض أَصحابه الذين حدثهم برؤياه ، وهو يقول ألا تعجب من شجر غرس لى فى يوم حدثتك وقد حمل . فقال له : ما حمل ؟ فقال : لا تسأَل ، لايقدر أَحد على صنعته ، لم ير مثل الكريم إِذا حل به مطيع .

قال حماد بن سلمة : كان ثابت البنانى وحميد الطويل يلبسان أَحسن ثيابهما ويتَطيبان ويطيبون المسجد

بالنفوح والدخنية (١) فى الليلة التى يرجى فيها ليلة القدر ، قال ثابت : كان لتميم الدارى حلة اشتراها بألف درهم ، كان يلبسها فى الليلة التى يرجى فيها ليلة القدر .

أضاءت ليلة القدر بنور الإيمان ، فاستبدلت أنوار الفضائل عن ديجور الظلام ... قامت على برزخ الزمان فقاومت سائر الأيام ... فزادت بقدرها لا بمقدارها ، وقامت فى فضائلها مفاخرة الدهر ... فكانتِ الحكومةَ عند فيصل الحق ... وطلبت بينة فنطقت حجة « فِيهَا يُفْرَقُ (٢) » فشهد لها «إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ » وكان (٣) قضاء الحاكم «لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ (٤) » . قال جويبر : قلت للضحاك : أرأيت النُّفَسَاءَ ، والحائِض ، والمسافر ، والنائم ، لهم فى ليلة القدر نصيب » ؟ قال : نعم ، كل من تقبل الله عمله سيعطيه نصيبه من ليلة القدر .

إخوانى : المعوّل على القبول لاعلى الاجتهاد ، والاعتبار ببر القلوب لابعمل الأبدان ... رب قائم حظه من قيامه

---

(١) قال عليه الصلاة والسلام « عليكم بالألوة » وهى العود المعروف .

(٢) إشارة إلى قوله تعالى : « فيها يفرق كل أمر حكيم » سورة الدخان الآية : ٤ .

(٣ و ٤) اقرأ سورة « إنا أنزلناه فى ليلة القدر » .

السهر ... كم قائم محروم ، ونائم مرحوم ... هذا نام وقلبه ذاكر ، وهذا قام وقلبه فاجر ... لكن العبد مأمور بالسعى فى اكتساب الخيرات والاجتهاد فى الأعمال الصالحات ، « وكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ » (١) .

عباد الله : شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن ، فى بقيته للعابدين مستمع ... وهذا كتاب الله فيه يتلى عليكم ويسمع وهو القرآن الذى لو أنزل على جبل لرأيته خاشعاً يتصدع ... ومع هذا ، فلا قلب يخشع ولا عين تدمع ...

ولا صيام يصان عن الحرام فينفع . . . ولا قيام استقام فيرجى لصاحبه أن يشفع . . . قلوب خلت من التقوى فهى خراب بلقع . . . وتراكمت عليها ظلمةُ الذنوب ، فهى لاتبصر ولا تسمع .

كم يتلى علينا آيات القرآن ، وقلوبنا كالحجارة أَو أَشد قسوة ... وكم يتوالى علينا شهر رمضان وحالنا فيه كحال أَهل الشقوة ... لا الشاب منا ينتهى عن

---

(١) هذا لفظ حديث صحيح رواه الإمام أحمد وأبو داود عن عمران بن حصين والترمذى عن عمر ، والإمام أحمد أيضاً عن أبى بكر ، وهو متفق عليه .

الصبوة ، ولا الشيخ ينزجر عن القبيح فيلحق بالصفوة .

أين نحن من أقوام إذا سمعوا داعى الله أجابوا الدعوة . . .

وإذا تليت عليهم آيات الله وجلت قلوبهم وَجَلْتَها جَلْوة . . . وإذا صاموا صامت منهم الألسن والأسماع والأبصار ، فما لنا فيهم أسوة . . . كم بيننا وبين حال أهل الصفوة : أبعد مما هنا وبين الصفا والمروة ... كلما حنّت منا الأقوال ساءت منا الأعمال . . . فلا حول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم .

اللهم إذا اطّلعت فى هذه الليلة على خلقك فَعُدْ علينا بمنك وعتقك ، وقدر لنا من الحلال واسع رزقك ، واجعلنا ممن عرفك وقام بحقك .

اللهم من قضيت بوفاته فاقض مع ذلك رحمتك ، ومن قدّرت طول حياته فاجعل فى ذلك نعمتك ، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين

المجلس الثامن

فى التحريض على الاعتذار من الهفوات
واستدراك الوقت قبل الفوات

الحمد لله الذى أَعان بفضله الأَقدام السالكة ، وأَنقذ برحمته النفوس الهالكة .

أَحمده على الأُمور اللذيذة والشايكة ، وأقرّ بوحدانيته إقرار عبد يعرف مالكه .

وأصلى وأسلم على نبينا صلوات متداركة .

صلى الله عليه وعلى أَبى بكر وعمر وعثمان وعلى ، وعلى سائر الصحابة الذين أَنار الله بهم منار الإسلام ، وأَزال بهم ظُلَمَ الشرك والأَهواء المتراكمة وسلم تسليما .

عباد الله : إن هذه العشر مباركة الليالى والأَيام ، وهى سبب لمحو الذنوب والآثام ، وفيها يتوفر جزيل الأَجر والإنعام ، فاعتذروا فى هذه الليلة إلى الملك الكريم ، وتعلقوا بذيل جوده فإنه رحيم ، وأَقبلوا بالقلوب إليه ، وقفوا بالخضوع والخشوع لديه ، وتعلقوا

بجوده تعويلًا عليه ،وانكسروا بين يديه ، فإنه رحيم كريم .

مدوا أَنامل الرجاءِ إلى بابه ، واتبعوا بالبكا طريق أَحبابه ، وتعرضوا الليلة لجزيل ثوابه ، واحذروا من سطوته وعقابه ، واعلموا أَن بين يديكم يوماً لا كالأَيام ، ينتبه فيه كل من غفل ونام ، وتزفر جهنم على أَهل الآثام ، ويجثو فيه الخليل والكليم(١) ، قوموا بنا إلى إلى مطلوبنا ، قفوا بنا على باب محبوبنا ، هلموا لنستغيث به من ذنوبنا ، لعله يَهِبُّ على قلوبنا من العفو نسيمٌ وتمر فى الظلام وقت خلوة ، وقل بلسان الإفلاس والذلة :

« أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ » من لم يقو على قيام الليل فليبك على نفسه بالنهار ، لابد من بكاءٍ ، إما فى زاوية العبادة ، وإما فى هاوية الطرد ، إما أَن يحرق قلبه بنار الندم والأَسف ، أَو بنار الشوق والشغف ، وإلا فى « نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ » ياملولًا بالقيام مستلذاً بالمنام ، قم فقد فاتك يا مغبون أَرباح الكرام ، وخَلَوْا دونك بالمولى وفازوا بالمرام ، وكذا سبقك القوم إلى دار السلام .

---

(١) خليل إبراهيم ، وكليم الله موسى على نبينا وعليهما الصلاة والسلام يجيثون على الركب يوم الفزع الأكبر .

وقال ثابت البنانى : إذا نمتُ ، ثم استيقظتُ ، ثم ذهبتُ لأَنام ، فلا نامت عيناى أَبداً .

وكان السلف الصالحون يسمع من بيوتهم بالليل دوى كدوى النحل .

ومكث سرى السقطى تسعين سنة ما وضع جنبه على الأَرض .

لو ذاق الغافل السهر فى الظلام ، أوسمع الجاهل حِسّ الصالحين عند القيام ، وقد نصبوا الأَقدام وهممهم تجرى إلى القيام ، وتلذذوا بأَشرف الذكر وأَحلى الكلام ، وضربوا على شاطئ أَنهار الصدق الخيام ، وجهزوا مطايا الشوق إلى دار السلام ، وسرت قوافلهم وأَهل الغفلة نيام ، وَشَكَوْا إلى محبوبهم ما يلقون من الغرام ، ووجدوا من لذة الأُنس ما لم يخطر على الأَوهام ، فإذا أَصبحوا لبسوا جلباب الصيام ، وصابروا الهواجر ، بهجر الشراب وترك الطعام ، وتدرّعوا بدروع التقوى حذراً من الآثام ، فإذا جاءهم الموت طاب لهم كأس الحمام ، وإذا دفنوا فى بقعة افتخرت بتلك العظام ، فعلى الدنيا من بعدهم السلام ، فسبحان من طهرهم من الأَدناس ، واصطفاهم

لخدمته من بين الناس ، وسقاهم من شراب صبه أَطيب كاس منعك والله قيد الهوى حتى سار القوم ، وحبسك عن لحوقهم لذيذ النوم ، وقطعك فانى الشهوات عن ثواب الصوم ، الصلاة عندك أَثقل من الصخر على الصدر ، والزكاة أَثقل من جبل أَحد ، وصدرك فى حديث الدنيا أَوسع من البحر ، وفى العبادة أَضيق من تسعين عقدة ، أَنت فى شهواتك أَجرى من جواد ، وفى العبادة أَبطأُ من أَعرج ، يا من هو على نجاته أَنوم من الفهد ، ضيعت وقتاً أَنفس من الدر ، إِذا عرضت لك خطيئة وثبت كالنمر ، وإِذا لاحت لك عبادةمطاعة رغت كالثعلب ، تستعمل فى معاملتك غدر الذئب ، وتقدم على حظك إِقدام الأَسد ، وتخطف الأَمانة اختطاف الحدأَة ، وما هذا وصف الصالحين .

قال سلمان الفارسى : « كل ما شغلك عن الله تعالى من أَهل أَو مال فهو عليك مشؤوم » .

قال بعضهم رأَيت شاباً جميل الصورة عليه عباءَة خشنة ، فقلت له : ما هذا اللباس ؟ فقال : يا أَخى إِنما أَنا عبد : أَلبس كما يلبس العبيد ، فإِن أَعتقنى سيدى لبست ما شئت .

واعلموا رحمكم الله أَن شهر رمضان تكثر فيه أَسباب الغفران ، فمن أَسباب المغفرة فيه : صيامه وقيامه ،وقيام ليلة القدر فيه ، ومن أَسباب المغفرة : تفطير الصوّام ، والتخفيف عن المملوك ، وهما مذكوران فى حديث سلمان المرفوع ، ومنها الذكر . وفى حديث مرفوع :« ذاكر الله فى رمضان مغفور له » (١) .

ومنها الاستغفار ، والاستغفار ، طلب المغفرة ، ودعاء الصائم يستجاب فى صيامه وعند فطره .

وكان ابن عمر إذا فطر يقول :اللهم يا واسع المغفرة اغفر لى .

وفى حديث أَبى هريرة المرفوع فى فضل شهر رمضان « وَيَغْفِرُ فِيهِ ، إِلَّا لِمَنْ أَبَىٰ . قالوا : يا أَبا هريرة ، ومن يأَبى ؟ قال : يأَبى أَن يستغفر الله .

ومن استغفار الملائكة للصائمين حتى يفطروا . فلما كثَّر أَسباب المغفرة فى رمضان ، كان الذى تفوته المغفرة محروماً غاية الحرمان .

وقال سعيد عن قتادة :كان يقال من لم يغفر له فى رمضان ، فلن يغفر له فى ما سواه ، وفى حديث آخر :

(١) ولفظه : ذاكر الله فى رمضان مغفور له ، لا وسائل الله فيه لايخيب» رواه الطبرانى فى الأوسط والبيهقى عن عمر رضى الله عنه .

إذا لم يغفر فى رمضان فمتى ؟ متى يغفر لمن لم يغفر له له فى رمضان ؟ متى يقبل من رد فى ليلة القدر ؟ متى يصلح من لايصلح فى رمضان ؟ متى يصح من كان فيه داء الجهالة والغفلة فى رمضان ؟ كل ما لا يثمر من الأَشجار فى أَوان الثمار ، فإنه يقطع ثم يوقد فى النار ، من فرّط فى وقت البذار لم يحصد يوم الحصاد غير الندم والخسار :

تَرَحَّلَ الشَّهْرُ وَالَهْفَاهُ وانْصَرَمَـــا
وَاخْتَصَّ بِالْفَوْزِ فِى الْجَنَّاتِ مَنْ خَدَمَا
وَأَصْبَحَ الْغَافِلُ الْمِسْكِينُ مُنْكَسِراً
مِثْلِى فَيَا وَيْحَهُ يَا عُظْمَ مَا حُرِمَا
مَن فاتَهُ الزَّرْعُ فِى وَقْتِ الْبِذَارَ فَمَا
تُرَاهُ يَحْصُدُ إلَّا الْهَمَّ وَالنَّـــدَمَا

فيا أَرباب الذنوب العظيمة : الغنيمة الغنيمة فى هذه الليالى والأَيام الكريمة ، فما منها عوض ولا لها قيمة (١) فكم يعتق فيها من النار من ذى جريمة ، فمن أَعتق فيها من النار فقد فاز بالجائزة العميمة ، والمنحة الجسيمة ؛ فيا من أَعتقه مولاه من النار ، إياك أَن

---

(١) أى قيمتها أكبر من أن تقدر بشىء .

تعود بعد أَن صرت حراً إلى رق الأَوزار ، يبعدك مولاك عن النار وأَنت تتقرب منها ، وينقذك مولاك وأَنت توقع نفسك فيها ولاتحيد عنها ، وان امرؤٌ ينجو من النار بعدما تزود منها لسعيد ، إن كانت الرحمة للمحسنين فالمسيءُ لاييأَس منها ،وإن كانت المغفرة مكتوبة للمتقين فالظالم لنفسه غير محجوب عنها ؛

إِنْ كَانَ عَفْوُكَ لَايَرْجُوهُ ذُو خَطَإٍ
فَمَنْ يَجُودُ عَلَىٰ الْعَاصِينَ بِالْكَرَم

إذا كان لايرجوك إلا محسن فمن ذا الذى يرجو ويدعو المذنب ، إن كان لايرجوك يرجوك إلا محسن ، فبمن يلوذ به ويستجير الجانى ، وعلى من يعتمد المقصر فى غد مع ما تقدم منه من عصيان .

« قُلْ يَا عِبَادِىَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَاتَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ » (١) .

فيا أَيها العاصى ـ وكلنا كذلك ـ لا تقنط من

---

(١) سورة الزمر الآية : ٥٣ .

رحمة الله لسوءِ أَعمالك ، فكم من مُعْتَق من النار فى هذه الأَيام من أَمثالك ، فأَحسن الظن بمولاك ، وتب إليه ، إنه لا يَهلِكُ على الله إلا هالك .

وَجَعَتْكَ الذُّنُوبُ فَدَاوِهَـا
بِرفْعِ يَدٍ فِى اللَّيْلِ وَاللَّيْلُ مُظْلِمُ
وَلَا تَقْنَطَنْ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ إِنَّمَا
قُنُوطُكَ مِنْهَا مِنْ ذُنُوبِكَ أَعْظَمُ

فرحمته للمحسنين كرامة ، ورحمته للمذنبين تكرم

واعلموا — رحمكم الله — إن المعاصى سبب الهجر والطرد ، وإنها حجاب غليظ عن الله ، وتحول بين العبد وبين المغفرة ، فعلى وجه الطائع نور طاعته ، وعلى وجه العاصى ظلام مخالفته ، وعند الموت يُتَلَقَّى هذا بالبشارة ، ويقع ذلك فى الخسارة ، وفى القبر هذا يفترش مهاد الفلاح ، ويلقى ذلك على حسك القباح ، وعند الحشر هذا يركب وذلك يسحب ، ثم يقال للعصاة هلا أَدركتم للطائعين « سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ » ، فيا أَيها الإِخوان قوموا بنا لنتوب فى زمن المهلة والإِمكان ، وتوبتنا تحتاج

إلى استغفار لعدم الصدق ، فقد كان الحسن البصرى يقول استغفارنا يحتاج إلى استغفار .

قال الإمام القرطبي : فإذا كان هذا فى زمانه ، فكيف بزماننا الذى يُرَى الإنسان فيه مكباً على المعاصى وظالم العباد ، لايهتدى للتوبة ، ومع ذلك فى يده سبحة زاعماً أَنه يستغفر من ذنوبه بها ، وقلبه غافل عن الاعتبار .

ومن هنا كان الإمام على بن أَبى طالب رضى الله عنه إذا رأَى رجلا يسرع فى السبحة بالاستغفار ، يقول : هذه توبة الكذابين ، وتوبتك تحتاج إلى توبة .

وقال المحققون : لايقدر على التوبة النصوح إلا الأَفراد من الناس ، لعزتها ، فأَكثروا من الاستغفار ، ومن الاستغفار عن استغفاركم ، لعدم صدقكم ، وأَرجوا من فضل ربكم قبول توبتكم إذا حصل لكم نبذة ندم ، لحديث « الندم توبة »(١) انتهى .

وروى من حديث حذيفة عن النبى صلى الله عليه

---

(١) « الندم توبة ، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له » ، رواه الطبرانى وأبو نعيم فى الحلية عن أبى سعيد الأنصارى .

وسلم قال : « مَنْ خُتِمَ لَهُ بِقَوْلِ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ ، وَمَنْ خُتِمَ لَهُ بِصَيامٍ أَرَادَ بِهِ وَجْهَ اللهِ أَدْخَلَهُ اللهُ الْجَنَّةَ » !.

كان السلف يروون أن من مات عقيب عمل صالح ، كصيام رمضان أو حج أوعمرة أنه يرجى له أن يدخل الجنة ، وكانوا مع اجتهادهم فى الصحة فى الأعمال الصالحة يجددون التوبة والاستغفار عند الموت ، ويختمون أعمالهم بالاستغفار وكلمة التوحيد ؟

لما احتضر العلاء بن زياد بكى ، فقيل له : ما يبكيك ؟ قال : كنت والله أحب أن أستقبل الموت بتوبة ، قالوا : فافعل رحمك الله ، فدعا بِطَهُور ، فتطهر ، ثم دعا بثوب له جديد فلبسه ، ثم استقبل القبلة وأومأ برأسه مرتين أو نحو ذلك ، ثم اضطجع فمات

ولما احتضر عامر بن عبد الله بن الزبير ، بكى وقال : لمثل هذا فليعمل العاملون : اللهم إنى أستغفرك من تقصيرى وتفريطى ، وأتوب إليك من جميع ذنوبى ، لا إلٰهَ إلا أنت ، ثم لم يزل يرددها حتى مات رحمه الله.

---

(١) وقال صلى الله عليه وسلم : « من ختم له بصيام يوم دخل الجنة » رواه البزار عن حذيفة .

وقال عمرو بن العاص رضى الله عنه عند موته :

اللهم أَمرتنا فعصيناك ، ونهيتنا فركبنا ، ولا يسعنا إلا عفوك ، لا إِلٰهَ إلا الله ، ثم رددها حتى مات رحمه الله .

وقال عمر بن عبد العزيز عند موته : أَجلسونى ، فأَجلسوه ، فقال : أَنا الذى أَمرتنى فقصرت ، ونهيتنى فعصيت ، ولكن لا إله إلا الله ، ثم رفع رأسه فأَحدَّ النظر ، فقالوا : إنك تنظر نظراً شديداً يا أَمير المؤمنين؟ قال : إنى أَرى حَضَرَةً ، ماهم بإنس ولا جن ، ثم قبض رحمه الله ، وسمعوا تالياً يتلو :

«تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى الأَرْضِ ، وَلَا فَسَاداً والْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (١) .

إخوانى : طوبى لمن غسل درن الذنوب بتوبة ، ورجع عن خطاياه قبل فوت الأَوبة ، وبادر الممكن قبل أَن لايمكن ، فهذه عَشْرُ الأَعمال الصالحات ، عشر تمحى فيها السيئات ، عشر السرور والبركات ، فاستدركوا ما فات ، واعتذروا فيهن من الهفوات ، قبل نزول هاذم اللذات ، قبل أَن تَثْوَوْا بين أَموات ، فى بيت ضيق من الموحشات ، إما روضة من رياض الجنات ، وإما

---

(١) سورة القصص ، الآية : ٨٣ .

حفرة من حفر النار فيها حيات ، وأَهوال مفظعات ، «أَليس فيكم من إذا سمع ذكر جهنم مات !؟ .

لا والله : ما فى زمننا من إذا ذكر ذلك عنده مات ، بل ولا يرتدع عن فعل المحرمات .

روى عن منصور بن عمار قال : خرجت ليلة وظننت أَنى أَصبحت وإذا عَلَىَّ ليلٌ ، فقعدت عند باب صغير ، فإذا صوت شاب يبكى ويقول : وعزتك وجلالك ما أَردت بمعصيتى مخالفتك ، وقد عصيتك حين عصيتك وما أَنا بِنَكَالِكَ جاهلًا ولا لعقوبتك متعرضاً ، ولا بنظرك مستخفاً ، ولكن سولت لى نفسى ، وغلبتنى شِقوتى ، وغرنى سترك الْمُرْخَىٰ عَلَىَّ :

فالآن من عذابك من يستنقذنى؟ ، وبحبل من اعتصم إذا قطعت حبلك عنى؟ ، واسوأَتاه من أَيامى فى معصية ربى ، يا ويلى أَتوب وأَعول ، قد حان لى أَن أَستحى من ربى .

قال منصور : فلما سمعت كلامه قلت : أَعوذ بالله

من الشيطان الرجيم . بسم الله الرحمن الرحيم :

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ والْحِجَارَةُ » (١) الآية .

فسمعت صوتاً واضطراباً شديداً ، ومضيت لحاجتى ، فلما أَصبحنا رجعت ، وإذا أَنا بجنازة على الباب ، وعجوز تذهب وتجىء .

فقلت لها : من الميت ؟

قالت : إليك عنى ، لا تجدد علىّ الأَحزان . فقلت : إنى رجل غريب . فقالت : هذا ولدى ، مر بنا البارحة رجل ، لاجزاه الله خيراً ، فقرأَ آية فيها ذكر النار ، فلم يزل ولدى يضطرب ويبكى حتى مات .

قال منصور : هكذا والله صفة الخائفين يا ابن عمار ، يا صاحب الخطايا والعصيان ، ربح المتقون ولك الخسران ، « ولمن خاف مقام ربه جنتان » .

اللهم أَنت أَعلم بالحال قبل الشكوى ، وأَنت قادر على تحقيق الآمال وكشف البلوى ، اللهم أَنت ملاذنا إذا ضاقت الحيل ، وملجأُنا إذا انقطع الأَمل ، فَعُدْ علينا بالعفو والمغفرة والعتق من النار ، واغفر لنا جميع الأَوزار ، واغفر لنا ولوالدينا وجميع المسلمين الأَحياء منهم والميتين برحمتك يا أَرحم الراحمين .

(١) سورة التحريم ، الآية : ٦ .

المجلس التاسع

فى الترغيب فى إتمام العمل وإكماله

الحمد لله الذى أسكن قلوب أوليائه بسالف محبته فهاموا ، وقيد جوارح جوارحهم عن الشهوات فاستقاموا ، منعهم بحلاوة ذوق المعالى لذة الطعام والشراب فصاموا ، وصبروا أنفسهم وأجسادهم على ملازمة الطاعات فداموا.

أحمده ، والإنس والجان والأملاك ببعض محامده ما قاموا .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له : شهادة تنقذ قائلها من خزنة الجحيم إذا هم لأخذه قاموا ، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله ، الذى لم تأخذه فى الله لومة اللائمين حين لاموا ، صلى الله عليه وعلى أبى بكر وعمر وعثمان وعلى ، وسائر الصحابة الذين جاهدوا فى الله حق جهاده ،وتصدقوا وصلوا وصاموا ، وسلم تسليما .

عباد الله : إن شهر رمضان قد قرب رحيله ، وأزف تحويله ، فلم يبق منه إلا ليلة ، فمن كان منكم قد

أحسن فعليه بالتمام ، ومن كان قد فرط فليختم بالحسنى ، فالعمل بالختام ، فاستمتعوا بما بقى تدركوا رضى الملك العلام ، وبادروا رحمكم الله ساعات شهركم الباقية ، فإنها مغتنم ، واستدركوا ما مضى منه بالحسرة والندم ، واختموا بالتوبة من سالف الزلل وأوبة إلى صالح العمل ، كم أناس صلوا فى هذا الشهر صلاة التراويح ، وأوقدوا فى المساجد طلباً للأجر المصابيح ، وملأوا بالعبادة المكان الفسيح ، ونسخوا بإحسانهم كل فعل قبيح ، فنصبتهم والله فى الآخرة المصائد فقهروا ، وأسرتهم الحصائد فأسروا ، فلم ينفعهم المال ولا الآمال لمّا قبروا ، وهذى حالك عن قريب فتيقظ ، وهذا مآلك بعد قليل فاجتهد وتحفظ ، ذهب عنك شهر رمضان وأنت قاعد ، وسارت فيه قوافل الصالحين وأنت متباعد . شهر رمضان « أوله رحمة وأوسطه مغفرة وآخره عتق من النار » ، كما فى حديث سلمان ، فينبغى لمن يرجو العتق من النار أن يأتى بأسباب توجب العتق من النار ، وهى متيسرة فى هذه الأيام .

كان أبو قلابة يعتق فى آخر الشهر جارية حسناء مزينة ، يرجو بعتقها العتق من النار .

وفى حديث سلمان : «من فطر فيه صائماً كان عتقاً له من النار ، ومن خفف عن مملوكه كان عتقاً له من النار» .

وفيه أيضاً فاستكثروا فيه من خصلتين ترضون بهما بهما ربكم . وخصلتين لا غنى بكم عنهما ، فأَما الخصلتان اللتان ترضون بهما ربكم : شهادة أَن لا إله إلا الله والاستغفار ، وأَما التى لا غنى بكم عنهما فتسأَلونه الجنة وتعوذون به من النار . فهذه الخصال الأَربع المذكورة فى الحديث كل منها للعتق والمغفرة .

فأَما كلمة التوحيد فإنها تهدم الذنوب وتمحوها محواً ، ولا تبقى ذنباً ولا يسبقها عمل ،(١) وهى تعدل عتق الرقاب الذى يوجب العتق من النار ، ومن قالها خالصاً من قلبه حرمه الله على النار .

وأَما كلمة الاستغفار فمن أَعظم أَسباب المغفرة ، فإن الاستغفار دُعاءٍ بالمغفرة ، ودعاءِ الصائم مستجاب فى حال صيامه وعند فطره .

قال الحسن : أَكثروا من الاستغفار فإنكم لاتدرون متى تنزل الرحمة .

---

(١) يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا إله إلا الله لا يسبقها عمل، ولا تترك ذنباً ؛ رواه ابن ماجه عن أم هانئ .

وقال لقمان لابنه : يا بُنى عود لسانك الاستغفار ، فإن لله ساعات لا يرد فيهن سائلًا .

وقد جمع الله بين التوحيد والاستغفار فى قوله : « فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ » (١) .

وفى بعض الآثار أَن إبليس قال : «أَهلكت الناس بالذنوب ، وأَهلكونى بلا إله إلا الله والاستغفار » .

والاستغفار ختام الأَعمال الصالحة كلها ، فتختم به الصلاة ، والحج ، وقيام الليل ، ويختم به المجالس ، فإن كانت ذكراً كان كالطابع عليها ، وإن كانت لغواً كانت كفارة لها . فكذلك أَن يختم صيام رمضان بالاستغفار

كتب عمر بن عبد العزيز إلى الأَمصار يأْمرهم بختم رمضان بالاستغفار والصدقة : صدقة الفطر ، فإن صدقة الفطر طُهْرَةٌ للصيام من اللغو والرفث ، والاستغفار يرقع ما تخرق من الصيام باللغو والرفث .

ولهذا قال بعض العلماء المتقدمين : صدقة الفطر للصيام كسجدتى السهو للصلاة .

---

(١) سورة محمد — صلى الله عليه وسلم — الآية : ١٩ .

وقال عمر بن عبد العزيز فى كتابه : قولوا كما قال أبوكم آدم عليه السلام :

« رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (١) .

وقولوا كما قال نوح عليه السلام .

« وَإِلَّا تَغْفِرْ لى وَتَرْحَمْنِى أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٢) » .

وقولوا كما قال إبراهيم عليه السلام :

« والَّذِى أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِى خَطِيئَتِى يَوْمَ الدِّين »(٣).

وقولوا كما قال موسى عليه السلام : رَبِّ إِنِى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَاغْفِرْ لِى (٤).

وقولوا كما قال ذو النون عليه السلام : « لَا إِلٰهَ إِلا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّى كُنْتُ مِنَ الظَّالِمنَ (٥) » .

فصيامنا هذا يحتاج إلى استغفار نافع ، وعمل صالح له شافع

---

(١) سورة الأعراف ، الآية : ٢٣ .
(٢) سورة هود ، الآية : ٤٧ .
(٣) سورة الشعراء ، الآية : ٨٢ .
(٤) سورة القصص ، الآية : ١٦ .
(٥) سورة الأنبياء ، الآية : ٨٧ .

كم نخرق صيامنا بسهام الكلام ، ثم نرقعه وقد اتسع الخرق على الراقع ، كيف نرفو خروقه بمخيط الحسنات ، ثم نقطعه بحسام السيئات القاطع .

كان بعض السلف إذا صلى صلاة استغفر من تقصيره فيها كما يستغفر المذنب من ذنبه .

إذا كان هذا حال المحسنين فى عباداتهم ، فكيف حال المسيئين مثلنا فى عاداتهم ، ارحموا مَنْ حَسناته سيئاتٌ وطاعاته كلها غَفَلات ، أَستغفر الله من صيامى طول زمانى ، ومن صلاتى التى كلها غفلات ، صيامنا كله خروق ، صلاتنا أَيما صلاة ، مستيقظ فى الدجى ، ولكن أَحسن من يقظتى سناتى ، وقريب أَمر هذا من النبي صلى الله عليه وسلم لعائشة فى ليلة القدر بسؤال العفو ، فإن المؤمن يجتهد فى شهر رمضان فى صيامه وقيامه ، فإذا قرب فراغه وصادف ليلة القدر لم يسأَل اللهَ إلَّا العفو ، كحال المسىء المقصر .

كان صلة بن أَشيم يحيي الليل ، ثم يقول فى دعائه بالسحر : اللهم أَجرنى من النار ،أَوَ لمثلى أَن يجترىء أَن يسأَلك الجنة .

كان مطرف يقول : اللهم أَرض عنا ، فإن لم ترض عنا فاعف عنا .

قال يحيى بن معاذ : ليس يعارف من يكن غاية أمله من الله العفو .

إن كنت لا أصلح للقرب ، فشأنكم عفواً عن الذنب .

واعلموا رحمكم الله أن أنفع الاستغفار ما قارنته التوبة ، وهى حل عقدة الإصرار ، فمن استغفر بلسانه وقلبه على المعاصى معقود ، وعزمه أن يرجع إلى المعاصى بعد الشهر ويعود ، فصومه عليه مردود ، وباب القبول عنه مسدود .

قال كعب : من صام رمضان وهو يحدث نفسه أنه إذا أفطر رمضان أن لايعصى الله دخل الجنة بغير مسألة ولا حساب ، ومن صام رمضان وهو يحدث نفسه أنه إذا أفطر عصى ربه فصيامه عليه مردود .

وفى سنن أبى داود وغيره عن أبى بكرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « لايَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ صُمْتُ رَمَضَانَ كُلَّهُ وَلَا قُمْتُ رَمَضَانَ كُلَّهُ » .

قال أبو بكرة ، فلا أدرى أكره التزكية ، أم لابد من غفلة .

أين من كان إذا صام صان الصيام ، وإذا قام استقام في القيام ، أحسنوا الإسلام ثم ارحلوا بسلام .

وأما سؤال الجنة والاستعاذة من النار فمن أهم الدعاء . وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : « حَوْلَهَا نُدَنْدِنُ » (١) .

فالصائم يُرْجى استجابة دعائه ، فينبغي أن لايدعو إلَّا بأهم الأُمور . قال أبو سلمة ، ماعرضَتْ لي دعوة إلا صرفتها إلى الاستعاذة من النار .

وفي الحديث : « تَعرَّضُوا لِنَفَحَاتِ رَحْمَةِ رَبِّكُمْ فَإِنْ لله نَفَحَاتٌ مِنْ رَحْمَتِهِ يُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ، فمَنْ أَصَابَتْه سَعِدَ سَعَادَةً لا يَشْقَىٰ بَعْدَهَا أَبَدًا » .

فمن أعظم نفحاته مصادفة ساعة إجابة يسأل اللهَ فيها العبدُ الجنة والنجاة من النار ، فيجاب سؤله فيفوز بسعادة الأَبد. قال تعالى : « فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ » . (٢)

لَيْسَ السَّعِيدُ الَّذى دُنْيَاهُ تُسْعِدُهُ
إِنَّ السَّعِيدَ الَّذِى يَنْجُوا مِنَ النَّارِ

---

(١) رواه أبو داود عن بعض الصحابة ، وابن ماجه عن أبي هريرة .
(٢) سورة آل عمران : ١٨٥ .

يا قوّام الليل : اشفعوا فى النوّم ، يا أَحْبَاءَ القلوب ترحموا على الأَموات .

قيل لابن مسعود : ... وما نستطيع قيام الليل؟. قال : أَقعدتكم ذنوبكم .

وقيل للحسن : قد أعجزنا قيام الليل ؟ .

قال : قيدتكم خطايا كم .

وقال أَيضاً : إن الْعبد ليذنب الذنب فيحرم به قيامَ الليل .

قال بعض السلفِ أَذنبتُ ذنباً فحرمت به من قيام الليل ستة أَشهر .

فيا أَيها الناس :الغنيمة الغنيمةَ فيما بقى من ساعات شهركم ، فاستدركوا فيهن هفواتكم قبل وفاتكم ، فالنجا النجا ، والوحا الوحا ، اعلموا أَنكم لم تخلقوا للدنيا ولا لجمعها ، ولا للتفاخر فيها ، وإنما خلقتم للعبادة .

قال تعالى : «وَمَاخَلَقْتُ الْجِنَّ والإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدونِ »(١)

فعلينا أَيها الإِخوان بالاعتناءِ بمعرفة ما خلقنا له وبالعمل فيه ، وأَما الدنيا فعرضت على نبينا ولم يُرِدْها .

---

(١) سورة الذاريات ، الآية : ٦٥ .

كما روى أن جبريل أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : « إِنَّ رَبَّكَ يَقُولُ لَكَ : أَتُحِبُّ أَنْ أَجْعَلَ لَكَ هَذِهِ الْجِبَالَ ذَهَبًا تَكُونُ مَعَكَ حَيْثُمَا كُنْتَ ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : يَا جِبْرِيلُ : إِنَّ الدُّنْيَا دَارُ مَنْ لَادَارَ لَهُ ، وَمَالُ مَنْ لَا مَالَ لَهُ ، وَلَهَا يَجْمَعُ مَنْ لَا عَقْلَ لَهُ . فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ : ثَبَّتَكَ اللهُ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ » .

وفى صحف إبراهيم عليه السلام : يا دنيا ما أهونك على الأبرار الذين تصنعت لهم ، وتزينت ، إنى قذفت فى قلوبهم بغضك والصدود عنك ، ما خلقت خلقاً أهون علىّ منك ، كل شأنك صغير ، وإلى الفنا يصير ، إنى قضيت عليك يوم خلقتك أن لاتدومى لأحد ، ولا يدوم لك أحد ، وإن بخل بك صاحبك وشح عليك ، طوبى للأبرار الذين أطاعونى من قلوبهم على الرضا ، ومن ضميرهم على الصدق والاستقامة ، طوبى لهم ، مالهم عندى من الجزاء إذا وفدوا علىّ من قبورهم : النور يسعى أمامهم ، والملائكة حافون بهم ، حتى أبلّغهم ما يرجون من رحمتى » .

عباد الله : أين أرباب الصيام ؟ يا فراش النوم أين

حراس الظلام ؟ درست المعالم وقوضت الخيام ، فعلى أَطلالهم منى السلام . يا نائماً فى سفينة الأَمن لاتنظر إلى سكونهم ، إنما يسار بك وأنت لاتشعر .

بكى عمر بن عبد العزيز رحمه الله ، فأَطال البكاء ، فسئل عن بكائه فقال : ذكرت منصرف القوم من بين يدى الله ، فريق فى الجنة ، وفريق فى السعير ، ثم صرخ وغشى عليه .

لله در أَقوام بادروا الأَوقات واستدركوا الهفوات ، فالعين مشغولة بالدموع عن المحرمات ، واللسان محبوس فى سجن الصمت عن المهلكات ، والكَفُّ قد كُفَّتْ بالخوف عن الشهوات ، والقدم قد قُيدت بقيد المحاسبات والليل لذتهم يجأَرون فيه بالأَصوات ، وإذا جاء النّهار قطعوه بمقاطعة اللذات ، فكم من شهوة ما بلغوها حتى الممات ، فتيقظ للحاقهم من هذه الرقدات ، ولا تطمعن فى الخلاص مع عدم الإخلاص فى الطاعات ، يا من بين يديه يوم لاشك فيه ولا مرا ، يقع فيه الفراق وتنفصم العُرى ، يوم تشيب فيه الأَطفال ، يوم تُسَيَّرُ فيه الجبال ، يوم يظهر فيه الوبال ، يوم لاتقال فيه العثار ، ينصب فيه الصراط ، فناج وواقع ، ويوضع

الميزان فتكثر فيه الوضائع وتنشر الكتب وتسيل المدامع وتظهر القبائح بين تلك المجامع ، ويخسر العاصى ويربح فيه الطائع .

اللهم إنك عَفُوٌّ تحب العفو فاعف عنا .

ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين .

اللهم إنا نسأَلك من خير ما سأَلك منه عبدك ورسولك محمد — صلى الله عليه وسلم — ونعوذ بك من شر ما استعاذك منه عبدك ونبيك محمد — صلى الله عليه وسلم — وعبادك الصالحون ، واغفر لنا ولوالدينا ، ولجميع المسلمين الأَحياء منهم والميتين برحمتك يا أَرحم الراحمين .

المجلس العاشر

فى وداع رمضان

الحمد لله موفر الثواب للأحباب ، ومكمل الأجر وباعث ظلام الليل ينسخ نور الفجر ، الموالى رزقه فلم ينس النمل فى الرمل ، والفرخ فى الوكر ، جل أن تناله أيدى الحوادث على مرور الدهر ، أَبصر فلم يَخْفَ عليه دبيب الذر فى البر ، وسمع فلم يغرب عن سمعه دعاء المضطر ، وخصنا من بين سائر الأُمم بشهر الصيام والصبر ، وغسل به ذنوب الصائمين كغسل الثوب بماء القطر ، فله الحمد إذ رزقنا إتمامه ، ومَنَّ علينا بعيد الفطـر .

أَحمده حمداً لا منتهى لعدده ، وأَشكره شكراً لا يحصى ، موصول مدده ، وأَتوكل عليه توكل عبد على سيده .

وأَشهد أَن لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، شهادة مخلص فى معتقده .

وأَشهد أَن نبينا محمداً عبده ورسوله – صلى الله عليه

وسلم - وعلى أبي بكر وعمر وعثمان وعلى ، وسائر أصحابه وأزواجه وتابعي مقصده ، وسلم تسليما .

فيا عباد الله : تدبروا القرآن المجيد ، فقد دلكم على الأمر الرشيد ، وأحْضِرُوا قلوبكم لفهد الوعيد ، ولازموا طاعة ربكم ، ولاسيما أيام العيد ، فهذا شأن العبيد ، واحذروا غضبه ، فكم قصم من جبار عنيد : « إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ. إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ. ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ. فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ (١) » . عباد الله إن الفرح بفضل الله ورحمته هو السرور ، وإن الفرح بالحظوظ العاجلة هو الغرور ، فاشكروا نعمة الله عليكم فيما يسر لكم من صيام رمضان ، وأعطاكم من نعمة الإيمان ، فقد أمركم بذلك مَنْ بنوره يهتدى المهتدون . فقال تعالى :

« وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٢) » .

وودعوا شهر رمضان بكثرة الاستغفار من التقصير والعزم على دوام الجد والتشمير ، أَلَا وإن من كان

---

(١) سورة البروج ، الآيات : ١٢ - ١٦ .

(٢) سورة البقرة ، الآية : ١٨٥ .

يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد ربّ محمد ، فإن رب محمد باق لايموت ، فإن رمضان قد تهيأ للرحيل ، ولم يبق منه إلا القليل ، بل بقى منه سبع ليالٍ ، وقد فاز المجتهدون بالنوال ، وقد بقى منه ليلة أو ليلتان ، وقد صار أثراً بعد عين ، بقيت منه ليلة واحدة ، وقد اقتسم العاملون فوائده ، بقى منه بقية هذا اليوم وكأنه طيف زار فى النوم ، فلقد كان للمتقين روضةً وأُنساً ، وللغافلين قيداً وحبساً ، كان نزهة للأبرار ، وقيداً للأشرار ، فطوبى لمن حل فيه عقد الأحرار ، وحل فى روضة التقوى ، فى منزل الافتقار ، أَىّ شهر قد تولى يا عباد الله عنا ، حق أن نبكى عليه بدماءٍ لو عقلنا ، كيف لانبكى لشهر مر بالغفلة عنا ، ثم لانعلم أنا قد قبلنا أو طردنا ، ليت شعرى من هو المحروم والمطرود منا ، ومن المقبول ممن صام منا فَيُهَنَّا كان هذا الشهر نوراً بيننا يزهر حُسناً ، فاجعل اللهم عقباه لنا نوراً وحُسناً . أيها الإخوان : شهررمضان ، عليكم بالاجتهاد فى باقيه ، وتلافوا تفريطكم ما أمكن تلافيه ، فكم متأهب ليوم فطره فيصبح يوم عيده فى قبره ، قد فارق الإخوان وعَدِمَ الخلان ،

أين الذين كانوا معكم فى عيدكم الماضى فذهبوا ، وأين الذين كانوا فى مثل هذا العيد قد فرحوا وطربوا ، أمّلوا أملًا شديداً ، وتوهموا البقا فبنو مشيداً ، فاختطفهم ريب المنون ، فأبلى منهم ما كان جديداً ، وسيعانون لفراقه كأس المذاق ، فكم بين من يرعى رمضان كأنه حبيب زار بعد طول بعاد ، أو طيف خيال ألمّ فى طيب سهاد ، فقد شغله أنسه بحبيبه عن الأنام ، فهو يتمنى لو كان على الدوام ، قد هجر فيه لذيذ المنام ، ولزم الوقوف بحندس الظلام ، وبين من يرى رمضان موسماً لنيل الشهوات ، ويعد أيامه استعجالا لأوقات البطالات ، وآخر قد فرط فى الإنابة والتوبة ، وقصر عن الإجابة والأوبة ، فازداد برمضان وزراً على وزره ، واكتسب بأيامه خُسْراً على خُسْرِه ، ولم يتزود منه ليوم حشره ، ورضى بإبعاده وهجره ، والسعيد فى يوم العيد يتذكر الوعد والوعيد ، ويطلب من مولاه المزيد ، فهو يوم يتفضل فيه المولى المجيد بعتق الإماءِ والعبيد .

عباد الله : إن شهر رمضان قد عزم على الرحيل ، ولم يبق منه سوى نزر قليل ، وهو ذاهب عنكم بأفعالكم ، وشاهد عليكم غداً بأعمالكم ، فياليت شعرى ماذا

أَودعتموه ، وبأَى الأعمال ودعتموه ، أَتراه يرحل عنكم حامداً صنيعكم ،أَو ذاماً تضييعكم ، ما كان أَعظم ساعاته ، وما كان أَحلى جميع طاعاته ، كانت لياليه ليالى عتق ومباهاة ، وأَسحاره أَوقات خدمة ومناجاة ، ونهاره زمان قربة ومصافاة ، وساعات اجتهاد ومعاناة .

روى عن على أَنه كان ينادى فى آخر ليلة من شهر رمضان : يا ليت شعرى : مَنْ هذا المقبول فنهنيه ، ومن هذا المحروم فنعزيه .

وعن ابن مسعود أَنه كان يقول : «من هذا المقبول منا فنهنيه ، ومن هذا المحروم منا فنعزيه.

أَيها المقبول هنيئاً لك ، أَيها المردود جبر الله مصيبتك» :

سَلَامٌ مِنَ الرَّحْمٰنِ كُلَّ أَوَانِ
عَلَىٰ خَيْرِ شَهْرٍ قَدْ مَضَى وَزَمَانِ

سَلَامٌ عَلَىٰ شَهْرِ الصِّيَامِ فَإِنَّهُ
أَمَانٌ مِنَ الرَّحْمٰنِ أَىَّ أَمَانِ

لَئِنْ فَنِيَتْ أَيَّامُكَ الْغُرُّ بَغْتَةً
فَمَا الْحُزْنُ مِنْ قَلْبِى عَلَيْكَ بِفَانِ

يا شهر الصيام ترفق ... دمـوع المحبين تدفق... دموعهم من أَلم الفراق ، تشقَّق لعل الوداع يطفى من نار نار الشوق ما أَحرق ... عسى منقطع عن ركب المقبولين يلحق... عسى من استوجب النار يعتق .

واعلموا – رحمكم الله – أَن ليلتكم هذه ليلة الوداع الذى شرفه الله وعظمه ، ورفع قدره وكرمه بالصيام والقيام وتلاوة القرآن ، جعله الله مصباح العام ، وواسطة عقد النظام ، وشرف قواعد الإسلام ، ونوره بأنوار الصيام والقيام ، أَنزل فيه كتابه ، وفتح فيه للتائبين أَبوابه ، فلا دعاء فيه إلَّا مسموع ، ولا خير إلَّا مجموع ، ولاضر إلَّا مدفوع ، ولا عمل إلَّا مرفوع .

شهر جعله الله لذنوبكم تطهيراً ، ولسيئاتكم تكفيراً ، ولمن أَحسن منكم صحبته ذخيرة ونوراً ، ولمن وفَّى بشرطه وقام بحقه فرحاً وسروراً ، شهر تورع فيه أَهل الفسق والفساد ، وازداد فيه من الرغبة إلى الله أهل الجد والاجتهاد ، شهر عمارات القلوب ، وكفارات الذنوب ، واغتصاص المساجد بالازدحام والتحاشد ، وهبوط الأَملاك بصكاك العتق والفكاك .

شهر فيه المساجد تعمر ، والمصابيح تزهر ، والقلوب تجبر ، والذنوب تغفر .

شهر فيه تشرق المساجد بالأَنوار ، وتكثر الملائكة لصوامه من الاستغفار ، ويعتق الجبار فى كل ليلة عند الإِفطار أَلف أَلف عتيق من النار ، وتنزل فيه البركات ، وتعظم فيه الصدقات ، وتكفر فيه السيئات ، وتقال فيه العثرات ، وتدفع النكبات ، وترفع فيه الدرجات ، وترحم فيه العبرات ، وتنادى فيه الحور الحسان من الجنات : هنيئاً لكم يامعشر الصائمين والصائمات ، والقائمين والقائمات بما أعد الله لكم من الخيرات .

لقد غمرتكم البركات ، واستبشر بكم أَهل الأَرض والسموات ، فرحم الله امرءاً مَهَّد فيه لنفسه قبل حلول رمسه ، واشتغل بيومه عن غده وأَمسه ، وتزود من بقية زاده ، ففى نفاده نفد عمره ، وأَظهر لفراق شهره جزعه ، وسلم على شهره وودعه ، وقال : السلام على شهر رمضان .

السلام على شهر الصيام والقيام وتلاوة القرآن .

السلام على شهر التجاوز والغفران .

السلام على شهر البركة والإِحسان .

السلام على شهر التحف والرضوان .

السلام على شهر النسك والتعبد .

السلام على شهر الصيام والتهجد ، السلام على شهر التراويح .

السلام على شهر الأَنوار والمصابيح .

السلام على شهر الأُنس للعارفين .

كان نهارك صدقة وصياماً ، وليلك قراءَة وقياماً .

فعليك منا تحية وسلاماً .

أَتراك تعود بعدها علينا ، أَو يدركنا المنون فلاتؤول إلينا ، مصابيحنا فيك مشهورة ، ومساجدنا فيك معمورة ، فالآن تنطفئُ المصابيح ، وتنقطع التراويح ، ونرجع إلى العادة ، ونفارق شهر العبادة ، فيا ليت شعرى من المقبول منا فنهنيه بحسن عمله ، أَم ليت شعرى من المطرود منا فنعزيه بسوءِ عمله .

فيا أَيها المقبول هنيئاً لك فى ثواب الله ورضوانه ، ورحمته وغفرانه ، وقبوله وإحسانه ، وعفوه وامتنانه ، وخلوده فى دار أَمانه .

ويا أَيها المطرود بإصراره وطغيانه ، وظلمه وعدوانه ، وغفلته وخسرانه ، وتماديه وعصيانه ، لقد عظمت مصيبتك بغضب الله وهوانه ، فأَين مقلتك الباكية ، وأَين دمعتك الجارية ، وأَين زفرتك الرائحةوالغادية .

لأى يوم أخرت توبتك ، ولأى يوم ادخرت عدتك ، عام قابل وحول حائل ، كلا ، فما إليك مدت الأعمار ولا معرفة المقدار ، فكم من مؤمل أمّل بلوغه فلم يبلغه ، وكم من مدرك له ولم يختمه ، وكم ممن أعد طِيباً لعيده جعل فى تلحيده ، وثياباً لتزيينه صارت لتكفينه ، ومتأهباً لفطره صار مرتهناً فى قبره ، وكم ممن لايصوم بعده سواه ، وهو يطمع فى غيره أن يراه .

فاحمدوا الله عباد الله على بلوغ اختتامه ، واسألوه قبول قيامه وصيامه ، وراقبوه بأداءِ حقوقه ، واعتصموا بحبل الله وتوفيقه .

واعلموا رحمكم الله – تعالى – أنكم فارقتم شهراً عظيما ، مفضلًا كريما ، أين الصوّام القوّام ، المرافقون لكم فى سالف الأعوام ، وأين من كان معكم ليالى شهر رمضان شاهدين ، وفى كل حق لله معاملين ، من الآباءِ والأمهات ، والإخوة والأخوات ، والجيران والقرابات ، أتاهم والله هاذم اللذات ، وقاطع الشهوات ، ومفرق الجماعات ، فأخلى منهم المشاهد ، وعطل منهم المساجد ، تراهم فى بطون الألحاد صرعى ، لايجدون لما هم فيه دفعاً ، ولا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعا ، ينتظرون يومَ الأُمَمُ

إلى ربهم تدعى ، والخلائق إلى الموقف تُحْشر وتَسْعى ، والفرائص تَرْعَدُ من هول ذلك اليوم جمعا ، والعيون تذرف دمعا ، والقلوب تتصدع من الحساب صدعاً :
« وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا » .

عباد الله من كان منع نفسه فى شهر رمضان من الحرام ، فليمنعها فيما بعده من الشهور والأَعوام ، فإن إلـه الشهرين واحد ، وهو على الزمانين مطلع شاهد . جزانا الله وإياكم على فراق شهر البركة ، وأَجزل إقسامنا وإياكم من رحمته المشتركة ، وبارك لنا ولكم فى بقيته ، وسلك بنا وبكم طريق هدايته بمنه وفضله ورحمته .

عباد الله اعلموا أَن صدقة الفطر طُهْرَة للصائم من اللغو والرفث (١) ، فأَخرجوها عن الصغير والكبير ، والعبد والحر ، وأَما الحمل فيستحب الإخراج عنه لفعل عثمان رضى الله عنه : صاعاً من تمر ، أَو شعير ، أَو أَقط ، أَوبر أَو زبيب ، فمن أَداها قبل صلاة العيد فهى صدقة مقبولة ، ومن أَداها بعدها فهى صدقة من الصدقات (٢)

(١و٢) لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم :
«زكاة الفطر طهرة للصائم من اللغو، وطعمة للمساكين، من أداها قبل الصلاة فهى مقبولة ومن أداها بعد الصلاة فهى صدقة من الصدقات» رواه الدرقطنى والبيهقى عن ابن عباس .

ويجوز إخراجها قبل العيد بيوم أو يومين ، فإذا رأيتم الهلال [هلال شوال] فكبروا الله عز وجل إلى حين تنقضى صلاة العيد ، فى المساجد والأسواق والدور .

واعلموا أن ليلة العيد تسمى ليلة الجائزة كما تقدم من حديث ابن عباس ، وفيه : « فإذا كانت ليلة الفطر سميت تلك الليلة ليلة الجائزة ، فإذا كان غداة الفطر بعث الله عز وجل الملائكة فى كل بلاد ، فيهبطون إلى الأرض ، فيقومون على أفواه السكك ، فينادون بصوت يسمعه خلق الله إلّا الجن والإنس ، فيقولون : اخرجوا إلى ربٍّ كريم ، يعطى الجزيل ، ويعفو عن الذنب العظيم ، فإذا برزوا إلى مصلاّهم يقول الملائكة : ماجزاء الأجير إذا عمل عمله ؟ قال فتقول الملائكة : إلٰهنا وسيدنا جزاؤه أن توفيه أجره . قال فيقول : فإنى أشهدكم يا ملائكتى أنى قد جعلت ثوابهم من صيامهم رضائى ومغفرتى ، ويقول : يا عبادى : سلونى فوعزتى وجلالى لا تسألونى اليوم شيئاً فى جمعكم لآخرتكم إلا أعطيتكم ، ولا لدنياكم إلا نظرت لكم ، فوعزتى وجلالى لأسترن عليكم عثراتكم ما راقبتمونى ، وعزتى وجلالى لا أفضحكم ولا أخزيكم بين أصحاب الحدود ، انصرفوا مغفوراً لكم قد أرضيتمونى ورضيت عنكم ، فتفرح الملائكة وتستبشر بما يعطى الله هذه الأمة .

قال أَحمد بن أَبى الفرج : احتجت فى شهر رمضان إلى جارية تصنع لنا الطَعام ، فوجدت فى السوق جارية ينادى عليها بثمن يسير ، وهى مصفرة اللون نحيفة الجسم ، يابسة الجلد ، فاشتريتها رحمة لها ، وأَتيت بها إلى المنزل ، فقلت لها خذى أَوعية وامضى معى إلى السوق لنشترى حوائج رمضان ، فقالت ياسيدى : أَنا كنت عند قوم كل زمانهم رمضان ، فعلمت أَنها من الصالحات ؛ فكانت تقوم الليل كله فى شهر رمضان . فلما كانت آخر ليلة قلت لها : امضى بنا إلى السوق لنشترى حوائج العيد ، فقالت :يا مولاى أَىّ حوائج العيد : حوائج العوام أَم أَم حوائج الخواص؟ ، فقلت لها : صفى لى حوائج العوام وحوائج الخواص ؟ ، فقالت : يا سيدى حوائج العوام : الطعام المعهود فى العيد ، وحوائج الخواص : الاعتزال عن الخلق والتفريد ، والتفرغ للخدمة والتجريد ، والتقرب فى الطاعات للملك المجيد ، والتزام ذل العبيد . فقلت لها : إنما أُريد حوائج الطعام . فقالت : يا سيدى أَى الطعام تعنى : طعام الأَجساد أَم طعام القلوب؟فقلت : صفيهما لى . فقالت : أَما طعام الأَجساد فهو القوت المعتاد ، وأَما طعام القلوب :فترك الذنوب ، وإصلاح العيوب والتمتع بمشاهدة المحبوب ، والرضا بحصول المقصود

والمطلوب ، وحوائجه الخشوع والتقوى ، وترك الكبر والدعوى ، والرجوع إلى المولى ، والتوكل عليه فى السر والنجـوى .

ثم إنها راحت تصلى ، فقرأتْ فى الركعة الأُولى سورة البقرة إلى آخرها ، ثم شرعت فى سورة آل عمران ، ثم لم تزل تختم سورة بعد سورة حتى وصلت إلى سورة إبراهيم إلى قوله : «يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ، وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ » .

ثم لم تزل تردد هذه الآية وهى تبكى إلى أن أَغمى عليها ووقعت على الأَرض وحرّكتها فإذا هى ميتة رحمة الله عليها .

فللّـه دَرُّهُمْ من أَقوام ، غسلوا وجوههم بدموع الأَحزان ، وأَسهروا عيونهم فى الليل بالذكر وتلاوة القرآن ، ونصبوا أَقدامهم فى خدمة الملك الديان ، واجتهدوا فى العمل وبادروا الزمان ، فكل زمانهم رمضان .

اللهم استر عيوبنا ، واغفر ذنوبنا ، وأَقر فى الآخرة عيوننا برؤية وجهك الكريم ، واغفر لنا ولوالدينا وجميع المسلمين برحمتك يا أَرحم الراحمين .

وصلى الله على محمد وآله وصحبه أَجمعين .